وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الوجيز في السيرة النبوية

المرحلة الثانية

أستاذ المادة

م . م . أحمد داخل خلاطي

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة	١ - ٢
مفهوم السيرة النبوية ومصادر دراستها وضوابط معرفتها .	٢ - ٦
حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (مولده – نسبه رضاعه من أمه آمنة بنت وهب (عليها السلام) ونشأته في البادية - طفولته – النبي (صلى الله عليه وآله) في كفالة جده عبد المطلب - النبي (صلى الله عليه وآله) في كفالة عمه أبي طالب (رحمه الله) – شبابه – زواجه من السيدة خديجة (عليها السلام) .	٧ - ١٢
*أدوار الدعوة ومراحلها : أولاً : العهد المكي ومراحله . ثانياً : العهد المدني ومراحله .	١٢ - ١٧
الهجرة إلى الحبشة .	١٧ - ١٩
بيعة العقبة الأولى والثانية .	٢١ - ٢٤

هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة المنورة .	٢٥ - ٢٩
أهم أحداث السنة الأولى والثانية من الهجرة :	٢٩ - ٤٧
١. بناء المسجد .	٢٩ - ٣٢
٢ . المؤاخاة .	٣٢ - ٣٥
٣ . وثيقة المدينة .	٣٥ - ٣٧
٤ . تغيير اتجاه القبلة .	٣٧ - ٣٩
٥ . سراياه وغزواته (صلّى الله عليه وآله) قبل معركة بدر .	٣٩ - ٤٢
٦ . معركة بدر .	٤٢ - ٤٦
٧ . زواج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) .	٤٦ - ٤٧
أهم أحداث السنة الثالثة والرابعة من الهجرة :	٤٧ - ٥٦
١ . معركة أحد .	٤٧ - ٥٣
٢ . غزوة بني النضير .	٥٣ - ٥٥
٣ . غزوة ذات الرقاع .	٥٥ - ٥٦
أهم أحداث السنة الخامسة والسادسة من الهجرة :	٥٦ - ٦٦

١ – معركة الأحزاب (الخندق) .	٥٦ - ٥٩
٢ – غزوة بني قريظة .	٥٩ - ٦١
٣ – غزوة بني المصطلق .	٦١ - ٦٢
٤ – قصة الافك .	٦٢ - ٦٤
٥ – صلح الحديبية .	٦٤ - ٦٦
أهم أحداث السنة السابعة والثامنة من الهجرة :	٦٧ - ٧٩
١ – غزوة خيبر .	٦٧ - ٦٩
٢ – غزوة مؤتة .	٦٩ - ٧١
٣ - فتح مكة .	٧٢ - ٧٤
٤ – معركة حُنين .	٧٤ - ٧٩
أهم أحداث السنة التاسعة والعاشرة من الهجرة :	٤٩ - ٨٤
١ – عام الوفود .	٧٩
٢ – غزوة تبوك .	٧٩ - ٨٢
٣ – المباهلة .	٨٢ - ٨٣
٤ – حجة الوداع وبيعة الغدير .	٨٣ - ٨٤

٥ – مرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .	٨٤
أهم أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة :	٨٥
وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) .	٨٥
قائمة المصادر والمراجع .	٨٦ - ٨٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر بما ألهم ، والثناء بما قدم ، من هموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولاها ، جم من الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت من الإدراك أبدها .

والصلاة على خير الأنام ومحلي الظلام، ومسير الأفهام محمد بن عبد الله وعلى آله الهداة إلى السلام ومُثبتي الإسلام ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد .. فإن الحديث عن السيرة النبوية – على صاحبها وآله أزكى الصلاة والسلام – هو حديث عن الأمة التي ولدت بولادة الإسلام ، بل هو حديث عن الحضارة الإنسانية ، منذ ان بعث آدم عليه السلام فكان البناء الأول لحضارة بنيه ، بي آدم .

والحديث عن سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) هو حديث عن فلسفة الوجود وعلة الخلق وغرض البقاء .

إن المتأمل في أهداف البعثة النبوية ، يجد أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قد عمل على تربية الفرد والمجتمع على الإيمان بالله الواحد الأحد على مستوى العقيدة والفكر والالتزام العملي في الحياة الفردية والاجتماعية على مستوى الشريعة والفقه ، إضافةً إلى تعميم مكارم الأخلاق ، فقد رويّ عنه (صلى الله عليه واله وسلم) في حديثٍ مشهور : " إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق " .

إن سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) ، في مرحلة السنوات العشر بعد تأسيس دولته في المدينة ، تعد من المع عهود الحكم طيلة التاريخ البشري ، ولا نقول ذلك جزافاً ، وإنما يجب التعرف إلى هذا العهد القصير والمليء بالنشاط ، والذي له تأثير خارق على تاريخ البشرية ، وإن المرحلة المدنية هي الفصل الثاني من عصر رسالة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، فهي تمثل مرحلة إرساء قواعد النظام الإسلامي وبناء نموذج الحكم الإسلامي لجميع أبناء البشرية على مر التاريخ الإنساني في مختلف الأعصار والأمصار.

ومن هنا جاء هذا الكتاب ، «الوجيز في السيرة النبوية» ، ليُلقي الضوء على تلك السيرة العطرة بشكل سلس ومُبسط ونقدمه للطلبة الأعزاء وفق منهجية تراعي حاجات المتعلمين ، وقد استندنا في

إعداد هذا الوجيز إلى المصادر التاريخية المشهورة عند المختصين في هذا الجانب لحسم المورد والاشكالية وإعطاء الرأي الصحيح فيه وفق هذه المصادر .

ومن الله التوفيق والسداد .

م . م . أحمد داخل خلاطي

****

مفهوم السّيرة النبويّة ومصادر دراستها :

كلمة السِّيرة مشتقّة من كلمة السَّير، والسَّير يعني المشي والحركة، بينما السِّيرة تعني طريقة المشي والحركة والسلوك .

وبعبارة أُخرى : السيرة عبارة عن الأسلوب والنمط الذي يتّبعه الإنسان في حياته وفي أعماله اليومية. وعندما نبحث في السيرة النبويّة، فإنّنا نُريد التعرُّف إلى الأسلوب والنمط الذي كان يتّبعه النبيّ محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) في أعماله اليوميّة ، للوصول إلى أهدافه النبيلة ، مثلاً : كيف كان سلوكه ؟ كيف كانت أخلاقه وعلاقاته بأصحابِه وزوجاته ومجتمعه ؟ كيف كان يُبلّغ رسالته السماوية ؟ ما هي الأحداث التي واجهها في طريق الدعوة إلى الله ؟ وكيف كان يتعامل معها ؟ كيف كان يقود مجتمعه في الجوانب كافة ، إداريّاً وسياسيّاً واقتصاديّاً وتربويّاً وتعليميّاً واجتماعياً ؟ وغير ذلك من الكثير .

وتتجلّى هذه السيرة في مجموع أقوال المعصومين (عليهم السلام) وأفعالهم ومواقفهم تجاه الأحداث والظواهر المختلفة، التي عاصروها وعاشوها منذ بعثة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حتّى انتهاء الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر المهديّ المنتظر (عج) .

وقد اهتمّ القرآن الكريم ببيان سيرة الأنبياء (عليهم السلام) والصلحاء ، ودعا إلى الاقتداء بسيرتهم، والاعتبار بسيرة الغابرين والاتّعاظ بها، كما دعا وأكّد على الاهتمام بسيرة خاتم الأنبياء وسيّدهم محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، وحثّ المسلمين على الاقتداء برسوله الكريم في قوله تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ ثمّ أمر المسلمين جميعاً بالالتزام بما يصدر عن رسوله الذي لا ينطق عن الهوى بقوله تعالى :﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ ، ومن المعلوم أنّ السيرة العظيمة للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) قد تعرّضت للكثير من الجعل والافتراء والتشويه على أيدي الكثيرين من حكّام ومندسّين وغيرهم .. حيث كانت لدى هؤلاء خطّة خبيثة تستهدف النيل من شخصيّة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) وسيرته ، وقد نُفِّذت هذه الخطّة عن طريق دسّ نصوص

مُخْتَلقة ومزيَّفة في كتب السيرة والتاريخ تُسيء إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وتنسب اليه ما لا يليق به .

مصادر دراسة السيرة النبوية :

إذا عرفنا أهميّة دراسة السيرة وما لحق بها من تشويش وتحريف ، كان من الضروريّ جدّاً أن نُكوِّن صورةً واضحةً ونقيّة عن حياة وسيرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأن نعتمد على مصادر صحيحة ، ومعايير وضوابط تكون قادرةً على إعطائنا الصورة الحقيقيّة الأكثر نقاءً وصفاءً عن شخصيّة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) ، وتكون قادرة أيضاً على تمييز الجانب المُصطنَع والمُزيَّف عن الصحيح وإبعاده عن محيطنا الفكريّ والعمليّ بصورةٍ كاملة ، وفق ضوابط ومعايير حقيقية .

لقد تعرض تاريخ خاتم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسنته من بعده للتحريف وهي حقيقة لا يشك فيها أحد ، ذلك لأننا لو رجعنا للمصادر المعتبرة لدى المسلمين حول تاريخ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسنته لوجدنا الروايات مختلفة ومتناقضة في وصف كثير من الوقائع التاريخية أو السلوكية للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وهذا التناقض والاختلاف واسع وكبير ، حيث صورتهُ على أنهُ أقل من مستوى الإنسان الاعتيادي في مختلف مجالات الحياة ، فهو يلعن الآخرين من غير استحقاق ، ولا يصبر عن النساء ، الأمر الذي يفرض عليه أن يصطحب معه في كل غزوة واحدة من نسائه ، وغيرها الكثير من الاساءات التي سيأتي بيان بعضها في قادم الصفحات .

هناك عدّة مصادر يُمكننا بالاعتماد عليها أن نستخلص معالم شخصيّة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) وتفاصيل حياته وسيرته وهي :

أولاً : القرآن الكريم : لقد قدّم القرآن الكريم صورةً واضحة ورائعة عن شخصيّة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) وصفاته وخصائصه ومواقفه في كثير من السور والآيات ، ويستطيع قارئُ القرآن من خلال التدبُّر التامّ في الآيات التي نزلت في شأنِ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، أنْ يُحيط بالكثير من جوانب شخصيّته العظيمة وحياته ، مُنذ أن بعثه الله تعالى للبشرية وإلى أن فارق هذه الدنيا . فقد أشار القرآن مثلاً إلى مكانة النبيّ (ومنزلته وعظمته) (صلى الله عليه واله وسلم) ، في كلٍّ من سور الحجرات والنور والأحزاب وغيرها، وأشار إلى أسمائه وألقابه (صلى الله عليه واله وسلم) في سور الصفّ وآل عمران والمائدة ، وإلى صفاته وخصائصه (صلى الله عليه واله وسلم) ، كالعصمة والطهارة والرأفة والرحمة والعطف والشجاعة ، في كلٍّ من سور آل عمران والتوبة والأحزاب والأنبياء وغيرها ، وأشار

القرآن إلى أخلاقه وصبره وثباته (صلى الله عليه واله وسلم) في مواقع التحدّي ، وإلى طريقة تبليغه للرسالة، وإلى مواقفه من عدم استجابة قومه لدعوته وغير ذلك ممّا يرتبط بحياته وسيرته ، في كثير من الآيات والسور ، فالرجوع إلى نفس القرآن لاستخراج سيرة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) يُعتبر من أوثق وأصحّ الطرق والمصادر لدراسة السيرة النبويّة الصحيحة .

ثانياً : النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) :

التي عرضت سيرة وحياة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، فإنّ هذه النصوص تُعتبر في الأهميّة بعد القرآن الكريم ؛ لأنّ أهل البيت (عليهم السلام) أدرى بما فيه ، وهم الأئمّة المعصومون الذين يحملون العلم الإلهيّ ...وعندهم علم الكتاب وعلم ما كان ويكون بإذن الله تعالى ، وليس لأحد– كائناً من كان – أن يُناقش فيما يُنقل بطريق صحيح عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، الذي لازم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في جميع مراحل حياته، وكان يتّبعه اتبّاع الفصيل أثرَ أمّه ، ويراه في الأوقات التي لا يراه فيها غيره .

وقد ورد عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) مئات بل آلاف النصوص والروايات، التي تحدّثت عن حياة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) العامّة والأحداث الكبرى التي عاشها في حياته ، وعن سيرته الذاتيّة والخاصّة .

ثالثاً: الروايات التاريخيّة المرويّة بالتواتر عن المسلمين الاولين : فالنصوص المرويّة عن الأثبات من

الصحابة الذين لا يميل بهم هوى عن جادّة الحقّ ، والتي تتحدّث عن سيرة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) ، تُعتبر من مصادر السيرة والتاريخ إذا ثبتت صحّتها بالتواتر أو بإحدى وسائل الإثبات الأخرى .

رابعاً : كُتاب المغازي والسير : ومن اشهرهم (سعيد بن المسيب ت ٩٤ هـ – عروة بن الزبير ت ٩٤ هـ – أبان بن عثمان بن عفان ٩٦ هـ – الشعبي ت ١٠٣ هـ – ابن شهاب الزهري ت ١٢٤ هـ – محمد بن اسحاق ت ١٥١ هـ) وغيرهم الكثير .

وأفضل من كتب في السيرة النبوية هو ابن إسحاق ت ١٥١ هـ ، فقد أكد على الكثير من المعلومات الشاملة ، وذكر الكثير عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد اعترف اغلب العلماء في ان شخصية ابن اسحاق كانت مُتبحرة في هذا المجال ، وقد نال ابن إسحاق شهرة واسعة على يد تلاميذه اضافةً إلى تبويب وتنسيق المواضيع التي ذُكرت في كتابه (السيرة النبوية) ، وهناك عوامل كثيرة دخلت في منهج المؤلف منها :

١) انه جمع بين الأسلوب القصصي والاخباري .

٢) عملية عرض المادة التاريخية تناول فيها الجانب الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي .

بعد وفاة ابن إسحاق ظهرت عليه حملة كبيرة تبناها عدد من العلماء على رأسهم مالك بن انس وعروة بن الزبير ، وهذا التحامل على ابن إسحاق لانه اظهر تشيعه لعترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان من اصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ، كما أنهُ أورد الكثير من المعلومات التي لا تروق للبعض خاصةً في العصر العباسي وهذا بطبيعة الحال جعل كُتاب البلاط العباسي يتبنون تلك الهجمة على ابن إسحاق واتهموه بالتدليس ، لذلك شُطبت الكثير من المعلومات التي ذكرها ابن إسحاق، بحجة انها تحتوي على اشعار وبعض المعلومات ، ولكن السبب الحقيقي لأنه اورد معلومات وفضائل بحق الإمام علي (عليه السلام) والسيدة الزهراء (عليها السلام) وهذا ما لا ترتضيه السلطة الأموية وكذلك العباسية التي عطلت كتابة السيرة لسنوات بسبب هذه الأخلاق العلمية التي لا تتلائم مع مصالحهم ، واعتمدوا على سيرة ابن هشام ت ٢١٨ هـ التي حذف منها كل ما لا يروق للسلطة .

ضوابط السيرة الصحيحة :

أهم الضوابط والقواعد التي ينبغي اعتمادها في تصحيح السيرة هي :

١ / **دراسة أحوال وأوضاع الناقلين للحديث** : فإنَّ أوّل ما ينبغي ملاحظته في الحديث المنقول السندُ : وهو عبارةٌ عن مجموع أسماء الأشخاص الذين نقلوا لنا الحديث أو الحدث التاريخيّ ، فلا بُدّ من دراسة أحوال وأوضاع هؤلاء الرواة لمعرفة ميولهم وارتباطاتهم السياسيّة والمصلحيّة ، ومدى صدقهم ودقّتهم فيما أخبرونا به ، لتحديد مدى امكانيّة الوثوق والاعتماد على نقلهم ، وطبيعيٌّ أنّ من عُرف عنه أنّه يكذب في خبره أو لا يُدقِّق في نقله ، لا يُمكن الاعتماد عليه، إلّا بعد أن نتأكد من صحّة ما نقله من مصادر وجهات أخرى ، وكذلك من عُرف عنه أنه ينساقُ وراء أهوائه السياسيّة أو المذهبيّة أو المصلحيّة ، لا يُمكن الأخذ بما ينقله لنا من مرويات ؛ لأنّه يكون بذلك قد أخلّ بدرجة الوثوق والاطمئنان .
٢ / **انسجام مضمون النصّ مع صفات وخصائص الشخصيّة النبويّة** ومميّزاتها المثاليّة والرساليّة، عندها يكون مقبولاً ونأخذُ بمضمونه إذا توافرت فيه سائرُ شروط القبول الأخرى مثلاً : إذا ثبت لدينا بالدليل القطعيّ الصحيح ؛ أنّ شخصيّة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) هي في أعلى درجات الطُّهر والعصمة والحكمة والشجاعة ، وأنّه يتحلّى بكلّ الصفات النبيلة والفاضلة ، جامعاً لكلّ القيم الإنسانيّة السامية، فلا بُدّ من جعل كلّ ذلك معياراً وميزاناً لأيّ نصٍّ يُروى بشأنه ، أو يُريد أن يُسجّل لنا قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو

موقفاً له (صلى الله عليه واله وسلم) ، فإذا لم يكن النصُّ منسجماً مع هذه الخصائص والمميّزات الثابتة بالدليل القطعيّ الصحيح فإنّه لا يُمكن قبوله ، كما لو نسب النصُّ والعياذ بالله ، الرذيلة أو الفجور لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، أو عبادة الأصنام ، أو التصرّفات التي تُعبّر عن جهله أو عدم اتّزانه، فإنّنا لا نتردّد في رفض مثل هذا النص ، كذلك لا نقبل أن تُنسب إلى أحدٍ من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) تصرُّفات لا تليق بمقامهم الثابت .

٣ / عرضُ النصوص على القرآن الكريم :

هذه قاعدةٌ لا بُدَّ أن نعتمدها في كلّ الأحاديث المنقولة عن النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) أو عن أحد أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) سواء أكانت تاريخيّة أم فقهيّة أم أخلاقيّة أم غير ذلك ، فما وافق كتاب الله نأخذ به وما خالفه نتركه ، فقد رُوي عن النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) أنّه قال : "تكثُر لكم الأحاديث بعدي ، فإذا رُوي لكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاقبلُوه وما خالفَ فردُّوه" ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "ما لم يُوافق من الحديث القرآن فهو زُخرف".

٤ / عدم التناقض والتنافي بين النصوص : فإنّ وجود التناقض فيما بينها يُشير إلى وجود نصّ مجهول، أو تعرّض النصّ لتصرُّفٍ ما أزاله عن وجهته الصحيحة، الأمر الذي يستدعي مزيداً من الانتباه ، وبذل المزيد من الجهد لمعرفة الصحيح من المُزيف منها .

٥ / عدم مخالفة البديهيّات والضرورات العقليّة الثابتة : ومن ذلك قولهم : إنّ الله عادل وحكيم ، ولكنه يُجبر عباده على أفعالهم (عقيدة الجبرية) ، ثمّ يُعاقبهم عليها وقولهم : إنّه تعالى لا يحدّه مكان ولا جهة ، ثمّ يقولون إنّ له ساقاً وقدماً وأصابع ، وما إلى ذلك مما لا يقبله العقل والمنطق .

٦ / عدم التناقض مع الثوابت التاريخيّة القطعيّة : فإذا كان من الثابت أنّ الإسراء والمعراج قد حصلا قبل الهجرة ، وثبت أن عائشة انتقلت إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد الهجرة ، فلا يُمكن بعد هذا تصديق النصّ الذي يُنقل عن عائشة نفسها من أنّها قالت : ما فقدت جسد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في تلك الليلة ؛ يعني ليلة الاسراء والمعراج .

٧ / عدم مخالفة الأحكام العقليّة والفطريّة السليمة : ومن ذلك حكم العقل بوجوب عصمة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) والإمام (عليه السلام) عن الخطأ ، فالنصّ الذي يُريد أن ينسب إلى النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) والإمام المعصوم (عليه السلام) خطأً معيّناً، لا نتردّد في رفضه ولا نشكّ في أنّه من الأخبار المصطنعة .

****

حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (مولده – نسبه – رضاعه من أمه آمنة بنت وهب (عليها السلام) ونشأته في البادية – طفولته – النبي (صلى الله عليه وآله) في كفالة جده عبد المطلب – النبي (صلى الله عليه وآله) في كفالة عمه أبي طالب (رحمه الله) – شبابه – زواجه من السيدة خديجة (عليها السلام) .

١ / مولدهُ :

كان مولده (صلى الله عليه وآله وسلم) في السابع عشر من ربيع الأوّل عام الفيل ٥٧١ ميلادي بمكّة المكرّمة ، في شعب أبي طالب يوم الجمعة بعد طلوع الفجر وهذا هو المشهور ، وسُميّ بعام الفيل ؛ لأنّ مكّة تعرّضت فيه لعدوان أبرهة الحبشي صاحب جيش الفيل ، فجعل الله كيدهم في تضليل ، كما ورد في سورة الفيل من القرآن الكريم .

٢ / نَسَبٌ طاهرٌ شامخٌ إلى إبراهيم « عليه السلام » :

هو أبو القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بن عبد الله ، بن عبد المطلب شيبة الحمد ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ... بن إسماعيل بن إبراهيم « عليها السلام » ، وقد كان جميع آبائه موحدين مؤمنين على دين الحنيفية الإبراهيمية ، وقد اشار القرآن الكريم بأنهم لم يسجدوا لغير الله ولم يتخذوا غيره رباً ، كما جاء في قوله تعالى وهو يخاطب نبيه : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ، أي بمعنى تقلبك وتنقلك في الموحدين ، وقال (صلَّى اللَّه عليه وآله وسلم) : " ما زلت أتنقّل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات حتّى أخرجني اللَّه تعالى في عالمكم هذا " .

أما أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وقد رويّ عن الإمام الصادق « عليه السلام » أنهُ قال : « نزل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول : إني قد حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك ، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب ، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب » .

وقد حكم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بـ طهارة نسبه فقال " ما ولدتني بغي قط مذ خرجت من صلب أبي آدم ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة ، ودليل ذلك ما رواه هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال " كتبت للنبي (صلى الله

عليه وآله) خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية "

٣ / رضاع النبي (صلى الله عليه وآله) من أمه آمنة « عليها السلام » ونشأته في البادية :

روى أبو الحسن البكري في كتابه الأنوار قال : حدثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة أنه كان من عادة أهل مكة إذا تم للمولود سبعة أيام ، التمسوا له مرضعة ترضعه ... ثم ذكر أن الهاتف أخبر آمنة بأن مرضعته في بني سعد ، واسمها حليمة ، فظلت تتوقع مجيئها حتى جاءت فأعطتها إياه .

وقد أكثروا الروايات في رضاع النبي (صلى الله عليه وآله) فضاعت الحقيقة في مكذوباتهم ! قالوا إن أمه (صلى الله عليه وآله) لم ترضعه لأنها كانت قليلة اللبن ، أو أرضعته أياماً قليلة ، ثم أرضعته ثويبة جارية أبي لهب أياماً ، ثم جاءت حليمة السعدية ! .

والصحيح أن أمه « عليها السلام » أرضعته مدة قد تزيد على السنة ، ثم أعطاه جده لزوج حليمة لينشأ في باديتهم قرب الطائف ، وما يدلل على ذلك هو افتخار النبي (صلى الله عليه وآله) برضاعه الأول من أمه ، ثم بنشأته في بني سعد ، حيث رويّ عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انهُ قال : " أنا أفصح العرب ، بَيْدَ أني من قريش ونشأت في بني سعد ، وارتضعت من بني زهرة ، وكانت هذه القبائل أفصح العرب ، فافتخر (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرضاع كما افتخر بالنسب » .

فرضاعه الأول من أمه آمنة بنت وهب الزهرية « عليها السلام » ، هو المؤثر في شخصيته ورضاعه الثاني من حليمة مكمل له ! وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ارتضعت من بني زهرة » لا يتحقق إلا بأن يكون رضع من حليب أمه شهوراً ، أو سنة حتى صار يأكل .

وقد تناقضت روايتهم في كيفية أخذ حليمة له ومدة إرضاعه ! ولم نجد ما يُطمأن إليه في ذلك عن أئمة أهل البيت « عليهم السلام » ، والأمر المؤكد أن عبد المطلب « رحمه الله » سلمه إلى زوجها الحارث السعدي ، فأخذه إلى منازلهم في بادية الطائف ، وربما أرضعته حليمة مدة من الزمن ، وأعادته إلى جده فأكرمهم .

وما المبرر للبحث عن مرضعة مع وجود أمه ، أليس من الأجدر أن تتكفل رضاعته وتربيته ؟ يرضع منها الحب والحنان ، والأم أكثر حناناً على ابنها من غيرها ، فقضية اختلاق مرضعة ، قد تكون من التهم الملصقة بانبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه لم يرضع إلا من حليب أمه ، وفي الأمر تعريض لها ، هذا ولا ندري هل أن إرسال الأولاد للمرضعات حالة موروثة في تاريخ العرب قبل البعثة ؟ أم أنها سُنةٌ مبتدعة ، وهل إن الرضاعة مقصورة على الذكور فقط أم على كلا الجنسين ؟ وما الغاية منها

مع وجود أم المولود ، ووجود الحليب فيها ؟ ، وقد رويّ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله : " ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه وهو أفضل الألبان التي يرضعها الطفل " ، وهنا تثار مشكلة إن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن نسل أطهار وقد بينا طهارة نسبه ، هل نضمن طهارة حليب المرضعات ؟ ولا سيما فترة قبل البعثة وما نجم عنها من كثرة الاختلاط .

٤ / يُتْمُ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووفاة والديه قبل السابعة من عمره (طفولته) :

توفي عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله على ما روي عن جعفر بن محمد « عليه السلام » بعد شهرين من مولده (صلى الله عليه وآله وسلم) ... عند أخوال أبيه بني النجار في يثرب في دار تعرف بدار النابغة ، وكانت سنه يوم توفي خمساً وعشرين سنة ... وتوفيت أمه آمنة بنت وهب وكان لها من العمر ثلاثون سنة ، وكانت وفاتها بموضع يقال له الأبواء بين مكة والمدينة في طريقها لزيارة أهلها في يثرب ... وكان عمره (صلى الله عليه وآله وسلم) حين وفاتها ست سنين وثلاثة أشهر » .

٥ / النبي (صلى الله عليه وآله) في كفالة جده عبد المطلب :

كفل النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أبيه جده عبد المطلب وقام بتربيته وحفظه أحسن قيام ورق عليه رقةٍ لم يرقها على ولده و كان يقربه منه و يدنيه و لا يأكل طعاما إلا أحضره و كان يدخل عليه إذا خلا و إذا نام و يجلس على فراشه فيقول دعوه ، فقد رويّ عن ابن عباس انهُ قال : « كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، لا يجلس عليه أحد إلا هو إجلالاً له ، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب ، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش ، فيَعْظُم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخروه فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني فوالله إن له لشأناً عظيماً ، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم ، إني أرى غرته غرة تسود الناس ، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويقول : ما رأيت قبلة أطيب منهُ ولا أطهر قط ، ولا جسداً ألين منه ولا أطيب منه ، ثم يلتفت إلى أبي طالب ، وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم واحدة ، فيقول : يا أبا طالب إن لهذا الغلام لشأناً عظيماً فاحفظه واستمسك به ، فإنه فرد وحيد ، وكن له كالأم ، لا يوصل إليه بشيء يكرهه»

وكانت هذه حاله حتى أدركت عبد المطلب الوفاة فبعث إلى أبي طالب ، ومحمد على صدره وهو في غمرات الموت ، وهو يبكي ويلتفت إلى أبي طالب ويقول : " يا أبا طالب أنظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ، ولا ذاق شفقة أمه ، أنظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك"

فمات عبد المطلب وهو (صلى الله عليه وآله) ابن ثمان سنين ، فضمه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار ، وكان ينام معه لا يأتمن عليه أحداً .

٦/ النبي (صلى الله عليه وآله) في كفالة عمه أبي طالب « رحمه الله » :

كان خير كافل ، وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً ... وخرج به إلى بُصْرَى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين وقال : والله لا أكلك إلى غيري ! وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأم أولاده جميعاً ، ويروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة أنه قال : " اليوم ماتت أمي ! وكفنها بقميصه ونزل على قبرها واضطجع في لحدها ، فقيل له : يا رسول الله ، لقد اشتد جزعك على فاطمة ! قال : إنها كانت أمي ! إنْ كانت لتُجيع صبيانها وتشبعني ، وتشعثهم وتدهنني ، وما أحسست باليتم منذ أن التجأت إليها ، وكانت أمي » .

٧/ شبابه (صلى الله عليه وآله) :

حينما بلغ الرسول (صلى الله عليه وآله) الثانية عشرة من عمره خرج مع عمه ابا طالب في تجارة إلى الشام ، وكان عمه يخرج في قوافل قريش التجارية الى اليمن والشام .

من الحوادث التاريخية المهمة التي عاصرها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قبل زواجه وعاش أحداثها هي مشاركته في حلف يسمى بـ (حلف الفضول) حيث كان عمره الشريف آنذاك عشرين سنة ، فقد اجتمع بنو هاشم ، وزهرة ، وتيم ، وعاهدوا الله المنتقم الجبار أن يكونوا مع المظلوم، حتى يأخذوا حقّه ممن ظلمه ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يعتز كثيراً بهذا الحدث التاريخي المهم حتى قال فيه : « : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حُمر النعم (أي أجود الابل وأحسنها) ، ولو أُدعى به في الاسلام لأجبت ».

كما كانت للرسول (صلى الله عليه وآله) مشاركة في وضع الحجر الأسود ، فبعد غزوة أبرهة في عام الفيل بخمس وثلاثين سنة ، جاء الكعبة سيل جارف تجاوز الردم ، والذي كان قد وضع ليمنع من مثل ذلك ، فدخلها وصدع جدرانها ، فاتفقت قريش على هدمها ، وإعادة بنائها ، وأعدوا لذلك نفقة طيبة ، ليس فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة مما أخذوه غصباً ، أو قطعوا فيه رحماً ، أو انتهكوا فيه حرمة ، أو ذمة ، وبدأت كل قبيلة تجمع الحجارة على حدة ، ويقولون إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد شارك في جمع الحجارة ، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود، وقع بينهم الخصام ، فإذا كل بطن يريد أن ينال شرف رفعه إلى موضعه ، وكاد أن يؤدي الأمر بهم إلى السيف ، حتى تواعدوا بالقتال ، ثم

اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا واتفقوا على أن يكون أول داخل على الاجتماع هو الحكم بينهم ، وشاءت الإرادة الإلهية أن يكون النبي(صلى الله عليه وآله) أول داخل ، فلما رأوه قالوا : «هذا الأمين ، رضينا، هذا محمد» ، وقد كانوا يتحاكمون إليه في الجاهلية ؛ لأنه كان لا يداري ، ولا يماري .

فلما أخبروه بالأمر طلب ثوباً ، وقيل بسط إزاره ، ثم أخذ الحجر، وضعه فيه بيده ، ثم طلب منهم أن يأخذ كل منهم بناحية من الثوب ، ثم رفعوه جميعاً ، ففعلوا، فلما حاذوا موضعه ، أخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده ، فوضعه مكانه .

٨/ زواجه (صلّى الله عليه وآله وسلم) بخديجة (عليها السلام) :

لا بدّ للنبيّ (صلى الله عليه وآله) من الاقتران بامرأة تتناسب مع عظمة شخصيّته ، وتتجاوب مع أهدافه السامية، ولم يكن في دنيا النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) امرأة تصلح لذلك غير السيّدة خديجة (عليها السلام) ؛ لما ينتظرها من جهاد وبذل وصبر .

وكانت السيدة خديجة (عليها السلام) عرفت عنه (صلى الله عليه وآله) صدق الحديث ، وعظم الأمانة ، وكرم الأخلاق ، وقد اتصلت السيدة خديجة برسول الله (صلى الله عليه وآله) وعرضت عليه أن يضارب بتجارتها ، فقبل ، فأستدعت غلامها ميسرة ، وأمرتهُ أن يلازم النبي (صلى الله عليه وآله) ويقوم على خدمته .

لقد كانت خديجة « عليها السلام » من خيرة نساء قريش شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، وأحسنهن جمالاً ، وكانت تدعى في الجاهلية بـ (الطاهرة) ، ويقال لها : (سيدة قريش) ، وكل قومها كان حريصاً على الاقتران بها لو يقدر عليه .

وقد خطبها عظماء قريش ، وبذلوا لها الأموال ، وممن خطبها عقبة بن أبي معيط ، والصلت بن أبي يهاب ، وأبو جهل ، وأبو سفيان فرفضتهم جميعاً ، واختارت النبي (صلى الله عليه وآله) ، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق ، وشرف النفس ، والسجايا الكريمة العالية ، وكانت (عليه السلام) هي التي قد أبدت أولاً رغبتها في الاقتران به (صلى الله عليه وآله) فذهب أبو طالب في أهل بيته ، ونفر من قريش إلى وليها ، وهو عمها عمرو بن أسد ؛ لأن أباها كان قد قُتل قبل ذلك في حرب الفجار أو قبلها .

وقد اختلفت الروايات في عمرها (عليها السلام) حين الزواج واقترانها بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : وهي تتراوح ما بين الـ ٢٥ سنة إلى الـ ٤٦ سنة وهي على النحو الآتي : (٢٥ سنة – ٢٨ سنة وهو ما رجحه كثيرون ٣٠ سنة – ٣٥ سنة – ٤٠ سنة – ٤٥ سنة) .

وقد عاش (صلى الله عليه وآله) مع خديجة (عليها السلام) ما يقارب الخمس وعشرين عاماً .

****

أدوار الدعوة ومراحلها :

***العهد المكي ومراحله**

يمكن أن نقسم عهد الدعوة المحمدية إلى دورين يمتاز أحدهما عن الآخر تمام الامتياز وهما :

١- الدور المكي : ثلاث عشرة سنة تقريباً.

٢- الدور المدني : عشر سنوات كاملة .

*بُعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان لهُ من العمر أربعين عاماً .

الدعوة في مراحلها ، التي اجتازتها :

ويرى البعض : أن الدعوة قد مرت بمراحل أربع :

الأولى : المرحلة السرية ، واستمرت ثلاث أو خمس سنوات .

الثانية : الإعلان بالدعوة إلى الله بالقول فقط ، دون اللجوء إلى العنف ، واستمرت حتى الهجرة .

الثالثة : مرحلة الدفاع عن الدعوة بالسيف ، واستمرت إلى صلح الحديبية .

الرابعة : قتال كل من وقف في سبيل الإسلام ، من الوثنيين والمشركين ، وغيرهم ، وهو ما استقر عليه أمر الدعوة وحكم الجهاد .

المرحلة السرية :

ولكننا لا نوافق على استعمال مصطلح « الفترة السرية » هنا إذ أن الظاهر هو أن النبي « صلّى الله عليه وآله » لم يكن حينما بعث مأموراً بدعوة عموم الناس كما قدمنا ، ولكنه كان يعرض هذا الدين بصورة طوعية وعفوية ، وبدون أن يوجه الأنظار إلى ذلك ، فكان هناك أفراد يسلمون تباعاً .

وقد كان هذا الأسلوب في تلك الفترة ضرورياً من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة ، حتى لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها ، حيث لا بد من إيجاد ثلة من المؤمنين ، ومن مختلف

القبائل يحملون هذه العقيدة ويدافعون عنها ، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعة والحاسمة من قبل أعدائهم .

كما أنه « صلّى الله عليه وآله » أراد أن لا تهدر الطاقات ، وتذهب الجهود سدى ، وينتهي الأمر إلى تمزق ، وتوزع في الثلة المؤمنة ، ثم إلى ضياع مدمر .

وأيضاً ؛ فقد كانت هذه الفترة بمثابة إعداد نفسي ، وتربية عقيدية وروحية لتلك الصفوة المؤمنة بربها ، وبرسالة نبيه الأكرم « صلّى الله عليه وآله » ، تمكنهم من الصمود في وجه التحديات التي تنتظرهم .

وإذا كان « صلّى الله عليه وآله » يريد : أن يقود عملية تغيير شاملة ، فلا بد له من إتاحة الفرصة لتهيئة وإعداد القوى ، التي تستطيع أن تحقق هدفاً كبيراً كهذا ، وتتمكن من الحفاظ والاحتفاظ بالوجود الفعال والمؤثر في بقاء ذلك الهدف .

النبي (صلّى الله عليه وآله) في دار الأرقم :

قال المؤرخون : ولما صار عدد المسلمين ثلاثين رجلاً – كما قيل – وصار بعض المسلمين يخرجون إلى الشعاب والجبال خارج مكة لأداء الفرائض ، وإقامة الشعائر ، وصار بعض المشركين يترصدونهم ، ويتعمدون إيذائهم ، وحصلت صدامات فردية لهم معهم اختيار دار الأرقم ، الواقعة على الصفا ليجعلها مركزاً لدعوته ، ومحلاً لاجتماع أصحابه به ، ثم الابتعاد عن أنظار المشركين في عبادتهم وشعائرهم ، بدلاً من الخروج إلى الشعاب من أجل الصلاة.

فكانت هذه الدار هي مركز حركته ونشاطاته وبقى فيها شهراً ولم يخرج منها حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً كما قيل ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل ، وحينئذٍ خرج « صلّى الله عليه وآله » ليعلن دعوته ، وليبدأ مرحلة جديدة هي أصعب مرحلة ، وأخطرها ، وأكثر عنفاً ، وأشد بلاءً .

الدعوة العلنيّة ومواجهة قريش :

بداية الدعوة العلنيّة :

بعد مدّة من بدء الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) للدعوة السرِّيَّة إلى الإسلام ، وبعد بناء القاعدة الصلبة للدعوة المتمثِّلة بأولئك الروّاد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للإسلام في أيّام غُرْبَته ، تلقّى النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) أمراً من الله تعالى بالمجاهرة بالدعوة وعدم الخوف من المشركين : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ .

فأظهر أمره وقال : " إنّي رسول الله أدعوكم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضرّ، ولا تخلق ولا ترزق ولا تُحيي ولا تُميت ".

ومنذ ذلك الوقت دخلت دعوة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مرحلة جديدة ؛ إذ أخذ يدعو إلى التوحيد في التجمُّعات وفي موسم الحجّ في منى وبين القبائل المجاورة لمكّة .

محاولات قريش (الأساليب) :

كان ردّ فعل قريش أمام جهره (صلى الله عليه واله وسلم) بالدعوة، أن أدبروا عنه وتنكّروا لدعوته خصوصاً بعدما ذكر آلهتهم وعابها ، وبما أنّ النظام القبليّ الذي كان سائداً في مكّة، كان يعني أنّهم لو تعرّضوا لمحمّد (صلى الله عليه واله وسلم) لواجهوا خطر الانتقام من بني هاشم، لهذا لجأوا إلى المحاولات التالية، وذلك بأسلوب مُتدرِّج :

١ . استغلال نفوذ عمّه أبي طالب وما يكنّه النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) من احترام له لمنعه (صلى الله عليه واله وسلم) من مواصلة دعوته، والطلب إليه بالتوقُّف عن سبّ آلهتهم وتقبيح ديانتهم.

٢ . الترغيب والترهيب : التعامل مع أبي طالب بالتهديد تارةً ، وبعرض المال والثروة والرئاسة تارةً أخرى ، وبعدما يئسوا من الحصول على النتيجة المطلوبة، عرضوا على أبي طالب أن يعطوه عمارة بن الوليد ، وكان أجمل وأقوى وأشعر فتى في قريش ، وأن يُسلِّمهم في مقابل ذلك محمّداً (صلى الله عليه واله) وسلم ليقتلوه ، فرفض أبو طالب ووبّخهم بقوله : " لبئس ما تسومونني عليه، أتُعطوني ابنكم أغذوه لكم وأُعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً" ، وجاؤوه مرّة وهدّدوه بالقتل هو وابن أخيه ، فما كان من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلّا أن قال: "والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتّى يُظهِرَه الله أو أهلك فيه، ما تَركتُه " .

٣ . مفاوضة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) ومساومته مباشرة : عن طريق إغرائه بالمال والجاه، ولكن النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) رفض عرضهم ؛ لأنّه لا طمع له بالمال والسلطان .

٤ . نهي الناس عن الالتقاء بالنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) : والاستماع إلى ما يتلوه من قرآن ، وقد تحدّث القرآن عن ذلك : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ .

٥ . التعرُّض لشخص النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) بالإيذاء المباشر: فرجموا بيته بالحجارة ، وألقوا التراب على رأسه، ووضعوا الأشواك في طريقه وأمام داره ، حتّى قال صلى الله عليه واله وسلم : "ما

أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت ".

٦ . اتّباع سياسة الإرهاب والتعذيب والتنكيل بالصفوة المؤمنة ، كما حصل مع عما بن ياسر ووالديه وبلال الحبشي وغيرهم الكثير .

٧ . مواجهة النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) : بالتكذيب ، والسخرية ، والاستخفاف والاستهزاء ، ورميه بأنواع التهم من قبيل ساحر ومجنون ، وأنّه يُفرّق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجه ، وعشيرته ، : ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ واتّهموه بأنّه يتعلّم عند رجل نصرانيّ اسمه جبر.

وقد ردّ عليهم القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

الحصار في شعب أبي طالب :

بعد مواقف الصمود تجاه قريش من قبل النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) ومن معه ، قرّرت قريش مقاطعة بني هاشم ، وفرض حصار اجتماعيّ واقتصاديّ عليهم ، وهو ما عُرِف بحصار الشعب ، فقد اجتمع المشركون في دار الندوة وكتبوا وثيقة اتفقوا فيها على البنود التالية :

١ . أن لا يُزوِّجوا أحداً من نسائهم لبني هاشم ، وأن لا يتزوّجوا منهم .

٢ . أن لا يبتاعوا منهم شيئاً، ولا يبيعوهم شيئاً مهما كان نوعه .

٣ . أن لا يجتمعوا معهم على أمرٍ من الأمور .

٤ . أن يكونوا يداً واحدة على محمّد وأتباعه .

قَدّرت قريش أنّ هذا الحصار سيؤدّي إلى أحد ثلاثة أمور :

إمّا قيام بني هاشم بتسليمهم النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) ليقتلوه ، وإمّا أن يتراجع النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) عن الدعوة ، وإما القضاء عليه وعلى جميع من معه جوعاً وعطشاً تحت وطأة الحصار.

استمرّ الحصار ثلاث سنوات ، من السنة السادسة حتّى التاسعة للبعثة ، وكان المسلمون خلاله يُنفقون من أموال خديجة وأبي طالب، حتّى نفدت واضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر، ولم يكونوا قادرين على الخروج من شعب أبي طالب إلّا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحجّ في ذي الحجّة، فكانوا يشترون

حينئذٍ ويبيعون ضمن ظروفٍ صعبة جدّاً .

وكان الإمام عليّ (عليه السلام) أثناء هذه المحنة يأتيهم بالطعام سرّاً من مكّة من حيث يُمكِن ، وكان أبو طالب يحرس النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) بنفسه ؛ خوفاً من أن يتسلّل أحد من المشركين إليه ويغتاله على حين غفلة ، بل كان إذا حلّ الظلام ينقل النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) من المكان الذي عَرف أهل الشعب أنّه بات فيه، إلى مكانٍ آخر، ويجعل ابنه عليّاً (عليه السلام) في مكان النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) حتّى إذا حصل أمرٌ أُصيب ولده دونه.

وانتهى الحصار بعدما أكلت الأرضة ما في صحيفة المشركين التي تعاقدوا فيها على الحصار، وقيام جماعة منهم ممّن تربطهم ببني هاشم علاقات نسبيّة بنقض الصحيفة ، وبذلك عاد بنو هاشم إلى مساكنهم .

عام الحزن :

في السنة العاشرة للبعثة ، وبعد خروج بني هاشم من الشعب بمدّة قصيرة ، تُوفّيت خديجة ، وبعدها بمدّة قصيرة تُوفّي أبو طالب وكان له من العمر ثمانين عاماً ، فعَظُم ذلك على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) واشتدّ حزنه ، وبوفاة هذين الشخصين اللّذين كانا عضداً وحرزاً وناصراً حينما تتابعت عليه المصائب .

فخديجة بالنسبة للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) كانت ضمن نطاق البيت والأسرة الزوجةَ الوحيدةَ الحنون والمضحّية والحريصة، وكانت وزيرة صدق على الإسلام، وكان يسكن إليها ، وبقي (صلى الله عليه واله وسلم) إلى آخر عمره يُكرم مثواها، ولا ينسى سبقها في الإسلام وما تحمّلته من مشقّة ومكابدة في سبيل الدين، حتّى قال فيها: "ما أبدلني الله خيراً من خديجة ؛ لقد آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدّقتني حين كذبني الناس، وواستني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً ".

أمّا أبو طالب فهو الذي رعى النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) وتولّاه في طفولته وصباه ، وكان الذّابّ والمدافع عنه في عهد رسالته ، فكان يقف كالسدّ العظيم أمام أحقاد المشركين وعدوانهم، ولمّا تُوفّي نالت قريش من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، واجترأوا عليه حتّى قال (صلى الله عليه واله وسلم) : "ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب" .

وروى اليعقوبي : " لمّا قيل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : إنّ أبا طالب قد مات ، عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعاً ، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ، ثم قال :

يا عمّ ، ربيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عنّي خيراً " .

ولا شكّ بأنّ أبا طالب مات مُسْلِماً ، فقد روي أن علي بن الحسين (عليه السلام) سُئل عن إيمان أبي طالب فقال : " واعجبا إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات " ، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) : " لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان ، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه " ، وإن كان قد أخفى إسلامه كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) : " إنّ مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف ؛ أسرُّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين " .

وروى الكليني في كتابه الكافي عن اسحاق بن جعفر عن عن أبيه جعفر الصادق (عليه السلام) انهُ قيل له : " إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافرا ؟ فقال : كذبوا كيف يكون كافرا وهو يقول :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبياً كموسى خُط في أول الكتب " .

ولم تكن المساعي المحمومة التي بذلها بعض الناس من أجل إثبات كفر أبي طالب إلّا بسبب دوافع سياسيّة وعقدية ، وللانتقاص من مكانة الإمام عليّ (عليه السلام) ، وإثبات ولادته من أبٍ كان يعبد الأصنام، حتّى وإن كان هو أوّل الناس إسلاماً ، فلا ذنب أو جريرة لأبي طالب سوى أنّه والد عليّ (عليه السلام) .

****

الهجرة إلى الحبشة :

لقد استمرت قريش في تعذيب من يدخل في دين الإسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم ، وكان الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن ، فقد كان وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم ، يساعدهم على تحمل المشاق ، ومواجهة الصعاب ، ويجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التي يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهية وحاكمية فوق ألوهيتهم وحاكميتهم ، وآثروا الاستكبار والعناد على الرضوخ والانقياد .

ومن جهة ثانية : فإن استمرار هذا الوضع الذي يواجهه المسلمون ، المليء بالآلام والمشاق ، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول في الإسلام ، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب ، والتعذيب والمصائب .

ومن جهة ثالثة : فقد كان لا بد من تسديد ضربة لكبرياء قريش وجبروتها – ولو نفسياً – لتدرك : أن قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها وقدراتها – وأن عليها : أن تفكر بموضوعية وعقلانية أكثر ، فكان أن اختار رسول الله «صلّى الله عليه وآله » للمسلمين الهجرة إلى الحبشة .

سر إختيار الحبشة :

وأما عن سر اختيار رسول الله « صلّى الله عليه وآله » الحبشة مهاجراً للمسلمين ، فقد أشار إليه « صلّى الله عليه وآله » بقوله : « إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق » و « إنه يحسن الجوار » .

وقد كان من الواضح أنه :

١ – كان لا بدّ لقريش ، من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين ، لتبقى هي المهيمنة ، وصاحبة الاختيار الأول والأخير في مصير هذا الدين ، الذي تراه يتهدد كبرياءها وشركها ، وانحرافها .

٢– لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الروم والشام ، لما كان لها من علاقات تجارية واقتصادية معها ، فالهجرة إلى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين ، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم ، ولا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الأصول الأخلاقية والإنسانية ، ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم والجور ، وعلى الأخص بالنسبة لمن ينتسب إلى دعوة يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصية ، وتهدد كيانهم وجبروتهم.

وأما بلاد اليمن ، وبعض المناطق العربية والقبلية الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي ، المتجبر والظالم .

٣ – لقد كان لقريش نفوذ قوي في مختلف القبائل العربية ، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس والروم .

٤ – ما ذكره النبي « صلّى الله عليه وآله » من أن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فإن كل ذلك ، يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقي لاختيار بلاد الحبشة ، البعيدة عن النفوذ الفارسي والرومي والقريشي ، والتي لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد أو راحلة ، وإنما بالسفن عبر البحار ، ولم تكن قريش تعرف حرب السفن ، فاختار الرسول « صلّى الله عليه وآله » هذه البلاد بالذات لتكون أرضاً لهجرة المسلمين ، الذين لا يزالون ضعافاً أمام قوة قريش وجبروتها .

وهاجر المسلمون بأمر من رسول الله « صلّى الله عليه وآله » إلى الحبشة ، ويقال : إنه سافر أولاً

عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون ، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا في الحبشة اثنين أو ثلاثاً وثمانين رجلاً ، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم ، وتسع عشرة امرأة عدا الأطفال .

*وقد كانت هذه الهجرة في السنة الخامسة من البعثة كما نص عليه عامة المؤرخين .

أمير الهجرة إلى الحبشة :

إن هجرة جعفر بن ابي طالب إلى الحبشة ، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش ، فقد كانت قريش تخشى مكانة أبي طالب ، وتراعي جانبه ، وجانب بني هاشم بصورة عامة ، وإنما أرسله النبي « صلّى الله عليه وآله » مع المهاجرين ليكون أميراً عليهم ، ومدبراً لأمورهم ، ومشرفاً على شؤونهم ومصالحهم ، وحافظاً لهم من أن يذوبوا في هذا المجتمع الجديد ، كما كان الحال بالنسبة إلى ابن جحش الذي تنصر في الحبشة ، فقد جاء في الرسالة التي وجهها الرسول « صلّى الله عليه وآله » إلى ملك الحبشة النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري ، والتي جاء فيها : « قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب ، معه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقرهم إلخ ... » .

****

الإسراء والمعراج : (الإســراء من المسجد الحرام (مكّة) إلى المسجد الأقصى (القدس)

اختلف المؤرّخون في تأريخهما ما بين السنة الثانية من البعثة حتّى السنة العاشرة ، وقيل : في الخامسة ، وقيل في الثالثة – وهو الأرجح – والذي نقطع به أنّه حصل قبل وفاة أبي طالب والسيّدة خديجة .

وأما ما يدل على أن الإسراء قد كان في السنوات الأولى من المبعث ، ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : أن الإسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه ، وهذا هو الأصح والمعتمد .

وبحسب النصوص فقد أُسري بالرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من مكّة إلى بيت المقدس، بمعجزةٍ خارقة للعادة، ثمّ عُرج به من هناك إلى السماوات بقدرة الله تعالى ، وكان الهدف من هذين السفرين مشاهدة علائم وآيات عظمة الله في الكواكب والسماوات، ولقاء الملائكة وأرواح الأنبياء، ورؤية مشاهد الجنّة والنار، ودرجات أهل الجنّة والنار وما شابه ذلك .

وقد وصف الله تعالى الإسراء بقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ .

قال تعالى في المعراج بعد بيان المراحل التي مرّ بها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ .

الإسراء والمعراج في اليقظة أو في المنام :

يرى البعض : أن الإسراء قد كان بالروح فقط ، في عالم الرؤيا ، ويحتجون بما قالته عن عائشة : ما فقدتُ جسد رسول الله « صلّى الله عليه وآله » .

وعن معاوية والحسن البصري : إنها رؤيا صالحة .

ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه الإمامية ومعظم المسلمين من أن الإسراء إنما كان بالروح والجسد معاً .

ونحن نشير هنا إلى ما يلي :

أولاً : بالنسبة لعائشة : « إن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة ؛ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجاً ، ولا في سن من يضبط ، أو لم تكن ولدت بعد » ، وأما معاوية فحاله معلوم ، وكذا الحال النسبة للحسن البصري فهو مطعون فيه .

ثانياً : قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ ، وقال في سورة النجم : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ .

فإن لفظ العبد إنما يطلق على الروح والجسد معاً ، ولو كان مناماً ، لكان قال : بروح عبده ، وإلى روح عبده .

كما أن قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ فالرؤية البصريّة تُطلق على رؤية الجسد دون رؤية الروح فقط .

هذا بالإضافة إلى أن الرؤيا عند عامة الناس لا تدل على عظيم قدرته تعالى ، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الأوهام والخيالات ، فيفوت الغرض المقصود من الإسراء والمعراج ، كما هو ظاهر .

ثالثاً : إنه لو كان الإسراء مجرد رؤيا صالحة ؛ فلا يبقى فيه إعجاز ؛ ولما أنكره المشركون والمعاندون .

رابعاً : لو كان مجرد رؤيا ، لم يخرج أبو طالب والهاشميون في طلبه « صلّى الله عليه وآله » .

وأما لماذا ينكرون : أن يكون ذلك بالروح والجسد معاً ؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلك ، أو لأجل

الحط من كرامة النبي « صلّى الله عليه وآله » ، أو لعدم قدرتهم على إقناع الناس بأمر مبهم كهذا .

****

بيعة العقبة الأولى والثانية :

كان (وادي القرى) في ما مضى من الزمن طريق التجارة من اليمن الى الشام ، فكانت القوافل التجارية القادمة من اليمن تدخل وادياً طويلاً يدعى بوادي القرى بعد العبور بالقرب من مكة ، وكانت المناطق الواقعة على طول هذا الوادي مناطق خضراء ، ومن هذه المناطق الخضراء مدينة قديمة كانت تدعى بمدينة يثرب والتي عُرفت فيما بعد بمدينة الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) .

وقد سكن في هذه المدينة منذ اوائل القرن الرابع الميلادي قبيلتا : " الاوس والخزرج " اللتان كانتا من مهاجري عرب اليمن (من القحطانيين) ، وكان يعيش الى جانبهم الطوائف اليهودية الثلاث المعروفة : " بنو قريظة " و" بنو النضير" وبنو قينقاع " الذين كانوا قد هاجروا اليها من شمال شبه الجزيرة العربية واستوطنوها آنذاك ، وكان يقدم الى مكة كل عام جماعة من عرب يثرب للاشتراك في مراسيم الحج ، وكان النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) يلتقي بهم في تلك المواسم ، ويجري معهم اتصالات ، وقد مهدّت بعض هذه اللقاءات للهجرة ، وصارت سبباً لتمركز قوى الاسلام المتفرقة في تلك النقطة .

على ان كثيراً من تلك الاتصالات وان لم تثمر ولم تنطوِ على أية فائدة فعلية إلا أنها تسببت في أن يحمل حجاج يثرب– لدى عودتهم– انباء ظهور النبيّ الجديد وينشروه في أوساط المدينة كأهم نبأ من انباء الساعة ، ويلفتوا نظر الناس في تلك الديار إلى مثل هذا الامر المهم والخطير .

ولهذا نقلنا هنا بعض اللقاءات والاتصالات التي تمت بين رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وجماعات من اهل هذه المدينة في السنة الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة من البعثة لتتضح بدراسة هذه المطالب علة هجرة النبيّ الاكرم (صلّى اللّه عليه وآله) من مكة الى يثرب ، وتمركز قوى المسلمين في تلك المنطقة .

كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كلما سمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف تصدى له ، ودعاه إلى الإسلام وعرض عليه ما عنده ، وقد قدم مرة "سويد بن الصامت" فتصدى له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) حين سمع به فدعاه الى اللّه والى الإسلام فقال له سويد : فلعلّ الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) : **وما الذي معك** ، قال : مجلة لقمان– يعني حكمة لقمان – فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) إعرضها عليَّ فعرضها عليه فقال له : **إن هذا**

الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن انزلهُ اللّهُ عليّ هو هدى ونور ، ثم تلا عليه رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) القرآن ودعاه الى الاسلام، فقال سويد إنّ هذا قول حسن وآمنَ برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج فيما كان يتلفظ الشهادتين، وكان قتله قبل يوم بعاث (من الحروب التاريخية بين الأوس والخزرج ، ففي هذه الوقعة انتصر الأوسيون على الخزرج) .

خرج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلّ موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الانصار وكانوا ستة انفار من الخزرج ومن ابرزهم : أسعد بن زرارة وعبادة بن الصامت فقال لهم : أمِن موالي اليهود؟ وهل لكم حلف معهم ، قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسُون أُكَلِّمُكُم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه، فدعاهم إلى اللّه عزّ وجلّ وعرض عليهم السلام وتلا عليهم القرآن، فأحدثت كلمات النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) في نفوسهم أثراً عجيباً، وممّا ساعد على ذلك أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهلَ شرك وأصحاب أوثان، وكان اليهود قد غزوهم في بلادهم ، فكانوا إذا وقع بينهم نزاع وكان بينهم شيء قال اليهود لهم: إن نبياً مبعوث الآن، قد اظلّ (او أطلّ) زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكانت اليهود تخبر بخروج نبيٍّ من العرب ينشُر التوحيد، وتنتهي على يديه حكومة الوثنية والشرك، قد قرب ظهوره ، فلما كلَّمَ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أُولئك النفر، ودعاهم إلى اللّه، قال بعضهم لبعض يا قوم : تعلّموا واللّه إنه للنبيُّ الذي توعدّكم به اليهود فلا تسبقنكم اليه ، فأجابوه فيما دعاهم اليه، بان صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، فعسى أن يجمعهم اللّهُ بك، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين، فإن يجمعهم اللّه عليه فلا رجل اعز منك .

يقول المؤرخون : إنه حينما عاد أولئك النفر المدنيون الذين أسلموا إلى المدينة ذكروا لأهلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار ، إلا وفيها ذكر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى إذا كان العام المقبل أي في السنة الثانية عشرة من البعثة ، وافى الموسم اثنا عشر رجلاً اثنان منهم أوسيان ، والباقون من الخزرج ، فالتقوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله) في العقبة ، وبايعوه على بيعة النساء (وهذه البيعة اصطلح على تسميتها المؤرخون وكتّابُ السيرة ببيعة النساء لأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) اخذ البيعة من النساء في فتح مكة على هذا النحو ، وقيل هي البيعة التي لا تشتمل على حرب) أي : " على أن لا يشركوا بالله شيئاً ، ولا يسرقون ، ولا يزنون ، ولا يقتلون أولادهم ، ولا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصونه في

معروف ، فإن وفوا فلهم الجنة وإن غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر " .

ولما رجعوا إلى المدينة أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ ، وألحقه بابن أم مكتوم كما قيل ، وقد نجح مصعب ، ومن معه ممن أسلم في الدعوة إلى الله تعالى ، وأسلم سعد بن معاذ ، الذي كان السبب في إسلام قومه بني عمير بن عبد الأشهل ، حيث إنه حين أسلم على يد مصعب رجع إلى قومه ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعرفون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نفساً وأمراً . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ، ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، أو مسلمة ، فأسلموا كلهم في يوم واحد ، (إلا عمرو بن ثابت ، فإنه تأخر إسلامه إلى أحد ، فأسلم ، ثم استشهد قبل أن يسجد لله سجدة واحدة ، كما قيل) .

وأقام مصعب بن عمير يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى أسلم الرجال والنساء ، من الأنصار باستثناء جماعة من الأوس ، اتبعوا في ذلك أحد زعمائهم ، الذي تأخر إسلامه إلى ما بعد هجرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

بيعة العقبة الثانية :

وعاد مصعب بن عمير من المدينة إلى مكة ، فعرض على النبي (صلى الله عليه وآله) نتائج عمله ؛ فسُر بذلك نبي الإسلام سروراً عظيماً ، وفي موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة أتى من أهل المدينة جماعة كبيرة بقصد الحج ، ربما تقدر عدتهم بخمس مئة ، فيهم المشركون ، وفيهم المسلمون المستخفون من حجاج المشركين من قومهم ، تقية منهم .

والتقى بعض مسلميهم بالرسول (صلى الله عليه وآله) ووعدهم اللقاء في العقبة في أواسط أيام التشريق ليلاً ، إذا هدأت الرجل ، وأمرهم أن لا ينبهوا نائماً ، ولا ينتظروا غائباً ، وفي تلك الليلة بالذات ناموا مع قومهم في رحالهم ، حتى إذا مضى ثلث الليل بدأوا يتسللون إلى مكان الموعد ، واحداً بعد الآخر ، ولا يشعر بهم أحد حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة ، وهم سبعون أو ثلاثة وسبعون رجلاً ، وامرأتان ، والتقوا بالرسول (صلى الله عليه وآله) هناك في الدار التي كان (صلى الله عليه وآله) نازلاً فيها ، وهي دار عبد المطلب ، وكان معه حمزة وعلي ، وبايعوه على أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم ،

وأهليهم وأولادهم ، وأن يؤووهم ، وينصروهم ، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وأن يقولوا في الله ، ولا يخافوا لومة لائم ، وتدين لهم العجم ، ويكونون ملوكاً .

فقال عبد الله بن حزام ، والد جابر ، وأسعد بن زرارة ، وأبو الهيثم بن التيهان : يا رسول الله ، بل دمنا بدمك ، وأنفسنا بنفسك ، فاشترط لنفسك ، ولربك ما شئت .

وبعد أن استمع إلى إجابتهم ، طلب (صلى الله عليه وآله) منهم : أن يخرجوا له اثني عشر نقيباً ، أي كفيلاً يكفل قومه ، فأخرجوا له تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ؛ فكانوا نقباء وكفلاء قومهم .

وعرفت قريش بالاجتماع ؛ فهاجت ، وأقبلوا بالسلاح ، وسمع الرسول (صلى الله عليه وآله) النداء ؛ فأمر الأنصار بالتفرق ، فقالوا : يا رسول الله ، إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا ، فقال : لم أؤمر بذلك ، ولم يأذن الله لي في محاربتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، فتخرج معنا ؟ قال : أنتظر أمر الله .. فجاءت قريش على بكرة أبيها ، قد حملوا السلاح ، وخرج حمزة ، ومعه السيف ، هو وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فلما نظروا إلى حمزة قالوا : ما هذا الذي اجتمعتم له ؟ ، فعمل حمزة بالتقية من أجل الحفاظ على النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمين والإسلام ، فقال : ما اجتمعنا ، وما ههنا أحد ، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي ، فرجعوا ، وغدوا إلى عبد الله بن أُبي ، فقالوا له : قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا ، والله ، ما من حي أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم ، فحلف لهم عبد الله : أنهم لم يفعلوا ، ولا علم له بذلك ، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم ؛ وتفرقت الأنصار ، ورجع رسول الله إلى مكة .

ولكن قريشاً قد تأكدت بعد ذلك من صحة الخبر ؛ فخرجت في طلب الأنصار ؛ فأدركوا سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمير ، فأما المنذر فأعجزهم ، وأما سعد فأخذوه ، وعذبوه ، فبلغ خبره جبير بن مطعم ، والحارث بن حرب بن أمية ، فأتياه وخلصاه ؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما ، ويمنع الناس من التعدي عليها .

وكان لهاتين البيعتين اثر عظيم في انتشار الإسلام بين أهل المدينة ، الامر الذي مهد لهجرة المسلمين اليها .

****

هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة المنورة

الهجرة النبوية : هي من أهم الاحداث التاريخية في الإسلام، وهي تعبير يشير إلى هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة إلى المدينة مع مجموعة من أنصاره وأصحابه الذين عُرفوا بالمهاجرين فيما بعد، وبها بدأ العدّ التصاعدي في تاريخ الإسلام، مع أنّ هناك هجرتان سبقتا هذه الهجرة قام بها المسلمون، حيث هاجروا إلى الحبشة لما لقيه المسلمون من الظلم والمهانة من مشركي مكة ، لكن بخروج النبي منها بعد وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب في العام الثالث عشر من البعثة عرف التاريخ مبدأً جديداً له .

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة ليلة ١ ربيع الأول ووصل إلى منطقة قبا وأقام فيها أول مسجد في الإسلام عُرف بمسجد قبا وانتظر هناك حتى وصول الإمام علي (عليه السلام) مع الفواطم ثم دخل المدينة في يوم ١٢ ربيع الأول .

<u>دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة :</u>

أولاً : إن مكة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة ، فقد حصل النبي « صلى الله عليه وآله » منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه ، ولم يبق بعد أي أمل في دخول فئات جديدة في الدين الجديد ، في المستقبل القريب على الأقل ؛ فإن البقاء في مكة ليس فقط لا مبرر له ، بل هو خيانة للدعوة الإسلامية ، ومساعدة على حربها ، والقضاء عليها ، ولا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل الله، وإطفاء نوره ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

نعم ، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر ، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة ، في القول والعمل ، بهدوء بعيداً عن ضغوط المشركين ، وفي منأى عن مناطق سيطرتهم ونفوذهم .

ثانياً : إن الإسلام وممثله وداعيته الرسول الأكرم « صلى الله عليه وآله » لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم ، لأن دينه دين البشرية جمعاء : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ .

ثالثاً : لقد رأت قريش أخيراً : أنها قد اهتدت للطريقة التي تستطيع بواسطتها أن تقتل النبي « صلى الله عليه وآله » ، دون أن تكون مسؤولة أمام الهاشميين بشكل محدد ، أو بالأحرى دون أن يستطيع الهاشميون أن يطالبوا بدم النبي « صلى الله عليه وآله » ، وذلك بأن يقتله عشرة ، كل واحد منهم من

قبيلة ، فيضيع دمه في القبائل ، ولا يستطيع الهاشميون مقاومتها جميعاً ؛ لأنهم إما أن يقاتلوا القبائل كلها ، وتكون الدائرة عليهم ، وإما أن يقبلوا بالدية ، وهو الأرجح ، وإذا قتل النبي «صلى الله عليه وآله » فإن القضاء على غيره من أتباعه يكون أسهل وأيسر ، ولا يشكّل لقريش مشكلة ذات شأن .

وبعد كل ما تقدم يتضح : أنه كان لا بد للنبي الأعظم « صلى الله عليه وآله » ، ولمن معه من المسلمين من الخروج من مكة إلى مكان أمن وسلام لا يشعرون فيه بأي ضغط ، يملكون فيه حرية الحركة ، وحرية الكلمة ، وحرية التخطيط لبناء مجتمع إسلامي يكون فيه النبي « صلى الله عليه وآله » قادراً على القيام بنشر دعوته ، وإبلاغ رسالته ، على النحو الأفضل والأكمل .

سر اختيار المدينة :

وأما عن سر اختيار النبي « صلى الله عليه وآله » للمدينة بالذات داراً لهجرته ، ومنطلقاً لدعوته ، دون غيرها كالحبشة مثلاً ؛ فذلك يرجع إلى عدة عوامل ، نذكر منها ما يلي :

١ – إن مكة كانت تتمتع بمكانة خاصة في نفوس الناس ، وبدون السيطرة عليها ، والقضاء على نفوذها الوثني ، واستبداله بالنفوذ الإسلامي ؛ فإن الدعوة تعتبر فاشلة ، وكل الجهود تبقى بدون جدوى ؛ فإن الدعوة كانت بحاجة إلى مكة ، بنفس القدر الذي كانت مكة بحاجة فيه إلى الدعوة .

فلا بد من اختيار مكان قريب منها ، يمكن أن يمارس منه عليها رقابة ، ونوعاً من الضغط السياسي والاقتصادي ، وحتى العسكري إن لزم الأمر في الوقت المناسب ، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها .

والمدينة ، هي ذلك الموقع الذي تتوفر فيه مقومات هذا الضغط ، فهي تستطيع مضايقة مكة اقتصادياً ؛ لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية ، وقريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى .

كما أن ذلك يهيئ للنبي « صلى الله عليه وآله » الفرصة لعرض دعوته على القوافل التي تتجه من بلاد الشام والأردن وفلسطين وغيرها إلى مكة ، والتمهيد لإفشال كثير من الدعايات التي يمكن للمكيين أن يطلقوها ضد الإسلام وأهله .

٢ – لقد عرفنا مما تقدم : أن الهجرة إلى المدينة هي الحل المفروض ، الذي لا خيار معه ؛ وذلك لأن الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتي تجدي نفعاً لأن أهلها رفضوا الاستجابة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» حينما هاجر إليهم ، لأنهم يرون : أن مكة هي التي تستطيع أن تضايقهم اقتصادياً ، وهم إليها أحوج منها

إليهم .

وأما اليمن ، وفارس ، والروم ، وبلاد الشام وغيرها ؛ فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين ، اللتين لن يكون نصيب الرسول والرسالة منهما سوى المتاعب والأخطار الجسيمة .

وأما الحبشة فهي بحكم موقعها الجغرافي مفصولة عن مكة ، كما أنها بحكم واقعها الاجتماعي ، والسياسي ، والبشري ، والعنصري ، وبحكم كونها بلداً أفريقياً ، فإنها ليست بلداً قادراً على أن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة ، لا اقتصادياً ، ولا سياسياً ، ولا عسكرياً ، ولا حتى فكرياً ، واجتماعياً .

أضف إلى ذلك : أن مهاجمة مكة بجيش من الحبشة لسوف يدفع العرب كافة إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده ، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقة من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء ، والمستضعفون ، ويواجه هؤلاء الملأ والمستكبرين من قومهم بالذات .

وهكذا يتضح : أنه ليس ثمة إلا المدينة ، والمدينة فقط ، موقعاً مناسباً للهجرة فكانت الهجرة إليها .

٣ – ومن الجهة الأخرى ، فإن المدينة كانت أغنى من مكة زراعياً ، أي أنها لو فرض عليها أن تتعرض لضغط تجاري من نوع ما – مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئاً من ذلك – فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط ، وتحتفظ لنفسها بنوع من الحياة ، ولو بصعوبة ما ، من دون أن تستسلم لإرادة الآخرين ، وتنساق وراء رغباتهم ، كما كان الحال بالنسبة لغيرها .

هذا عدا عن أن الدعوة التي تحتاج إلى نشاط واسع ، وجهد شامل ، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمي – هذه الدعوة – تحتاج إلى استقرار اقتصادي داخلي ، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة في سبيل نشر دينهم ، وبث رسالتهم .

٤ – وإذا كان الحج من أهم تشريعات الإسلام ؛ فما دامت مكة في أيدي الوثنيين ؛ فإنه سوف يفقد أثره وفعاليته في مجال التربية السياسية ، والاجتماعية ، وفي غير ذلك من مجالات ، وأيضاً ، فما دامت مكة في أيدي الوثنيين ، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع في القبائل العربية ، وقدسية من نوع ما في نفوسهم .

فلا بد إذاً من إخراجها من أيديهم ؛ لينتهي ما لهم من رصيد معنوي في نفوس الناس ، ولتنفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد ، وليتمكن المسلم من أن يؤدي إحدى أعظم شعائره – الحج – بحرية تامة ، دونما رادع أو زاجر .

وبعد هذا ، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة ، وهي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة

سكانية جيدة ، تستطيع أن تقوم بالمهمة التي توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه ، ولا توجد هذه الميزة في أي من المناطق القريبة إلى مكة .

٥ – إن أهل المدينة كانوا في الأصل من مهاجري اليمن ، التي كانت تمتلك شيئاً من الحضارة البدائية في قديم الزمان ، فهم ليسوا أعراباً ؛ لتكون قلوبهم ممعنة في القسوة ، ولا كان ثمة زعامات ومصالح خطيرة لهم في المنطقة ، كما كان الحال بالنسبة لقريش .

٦ – ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون ، وقد أنهكتهم الحروب (الحرب بين الاوس والخزرج) وأكلتهم ، ويعيشون في رعب دائم وخوف مستمر ، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا بالنهار .

٧ – لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي في المنطقة قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين ، ولكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة ، إلى ظروف مشجعة ؛ فلماذا يهملهم الرسول «صلى الله عليه وآله» ولا يهيئ لهم الفرصة لذلك؟! .

٨ – هذا كله ، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبي الأكرم « صلى الله عليه وآله » وبايعوه بيعة العقبة ، ووعدوه النصر ، والنبي « صلى الله عليه وآله » إنما يتصرف وفق الإرادة الإلهية التي لا تغيب عنها تلك المصالح وسواها .

التحضير للهجرة النبوية وإيثار الإمام علي (عليه السلام) :

بعد مكر قريش وتخطيطها لقتل النبيّ « صلى الله عليه وآله » نزل جبرئيل على رسول الله « صلى الله عليه وآله » بما كان من كيدهم، وأخبره الخبر ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ثمّ جاءه بأمر من الله في ذلك ووحيه، وما عزم له من الهجرة ، ثم دعا الإمام علي (عليه السلام) فقال له : " يا عليّ ، إنّ الروح هبط عليّ يخبرني أنّ قريشًا اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنَّه أوحي إليّ عن ربي عزَّ وجلّ أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وإنّه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليهم أثري، فما أنت صانع ؟ ، فقال الإمام علي (عليه السلام) أو تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبيّ الله ؟ قال : نعم ، فتبسّم عليٌّ ضاحكًا، وأهوى إلى الأرض ساجدًا شاكرًا لما أنبأه به رسول الله من سلامته ، ثم قال لرسول الله : امضِ بما أُمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت، وإنْ توفيقي إلّا بالله " .

في الطريق إلى المدينة :

عن أبي عبد الله « عليه السلام » : إن رسول الله « صلى الله عليه وآله » لما خرج من الغار متوجهاً إلى المدينة ، وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مئة من الإبل ، خرج سراقة بن جشعم فيمن يطلب ، فلحق رسول الله ، فقال « صلى الله عليه وآله » : اللهم اكفني سراقة بما شئت ، فساخت قوائم فرسه ، فثنى رجله ثم اشتد ، فقال : يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك ، فادع الله أن يطلق إلي فرسي ، فلعمري ، إن لم يصبكم خير مني لم يصبكم مني شر ، فدعا رسول الله « صلى الله عليه وآله » : فأطلق الله عز وجل فرسه .

النبي (صلّى الله عليه وآله) في المدينة :

بعد خمسة عشر يوماً من إقامته « صلى الله عليه وآله » في قباء ، تحرك إلى داخل المدينة .

وقد اختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لخروجه « صلى الله عليه وآله » من مكة ودخوله قباء ثم المدينة اختلافاً كثيراً ، مع اتفاقهم على أنه قد دخلها في أوائل ربيع الأول ، وقد حقق العلامة المجلسي : أن هجرته « صلى الله عليه وآله » كانت في يوم الاثنين ، أول ربيع الأول ، وورود المدينة في يوم الجمعة الثاني عشر منه ، كما ذهب إليه الشيخ المفيد.

****

<u>بناء المسجد :</u>

اشترى النبي « صلى الله عليه وآله » – أو وهب له – موضع المسجد ، الذي يقال : إنه كان مربداً (محبس الإبل أو مكان تجمع التمر أو المكان الخالي خلف البيوت) ليتيمين من الخزرج ، كانا في حِجر أسعد بن زرارة ، أو غيره اشتراه – على ما قيل – بعشرة دنانير .

فأسس « صلى الله عليه وآله » المسجد في ذلك الموضع ، ونقلوا إليه الحجارة من منطقة الحرة ، وشارك « صلى الله عليه وآله » بنفسه في نقلها ، الأمر الذي دفع الصحابة إلى الدأب في العمل ، والجد فيه .

وجعل طوله مئة ذراع في مثلها ، أو قريباً من ذلك ، وقيل : جعله سبعين في ستين ، وابتنى الرسول « صلى الله عليه وآله » مساكنه ، وابتنى أصحابه مساكنهم حول المسجد ، وكل قد شرع له إلى المسجد باباً ، وقد سدت الأبواب كلها فيما بعد سوى باب أمير المؤمنين « عليه السلام »

لماذا المسجد أولاً :

إن من الملاحظ : أن أول عمل بدأ به « صلى الله عليه وآله » في المدينة هو بناء المسجد ، وهو عمل له دلالته وأهميته البالغة ، وذلك لأن المسلمين كانوا فئتين : مهاجرين وأنصاراً ، وتختلف ظروف كل من الفئتين ، وأوضاعها النفسية ، والمعنوية ، والمعيشية ، وغير ذلك عن الفئة الأخرى .

والمهاجرون أيضاً كانوا من قبائل شتى ، ومستويات مختلفة : فكرياً ، واجتماعياً ، مادياً ، ومعنوياً ، كما ويختلفون في طموحاتهم ، وتطلعاتهم ، وفي مشاعرهم ، وفي علاقاتهم ، ثم في نظرة الناس إليهم ، ومواقفهم منهم ، وتعاملهم معهم ، إلى غير ذلك من وجوه التباين والاختلاف ، وقد ترك الجميع أوطانهم وأصبحوا بلا أموال ، وبلا مسكن ، إلى غير ذلك مما هو معلوم ، وكذلك الأنصار ؛ فإنهم أيضاً كانوا فئتين متنافستين ، لم تزل الحرب بينهما قائمة على ساق وقدم إلى عهد قريب .

وقد أراد الإسلام أن ينصهر الجميع في بوتقة الإسلام ليصبحوا كالجسد الواحد ، في توادهم وفي تراحمهم وتعاونهم ، وغير ذلك ، وأن تتوحد جهودهم وأهدافهم ، وحركتهم ، ومواقفهم ، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى إعداد وتربية نفسية ، وخلقية ، وفكرية لكل هذه الفئات ، لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض ، ولتكون في مستوى المسؤولية ، التي يؤهلها لها في عملية بناء للمجتمع المتكافل المتماسك الذي هو نواة الأمة الواحدة التي لها رب واحد وهدف واحد ، ومصير واحد .

وليصبح هذا المجتمع قادراً على تحمل مسؤولية حماية الرسالة ، والدفاع عنها ، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدي اليهود في المدينة ، والعرب والمشركين ، بل والعالم بأسره ، لا بد أن تنصهر كل الطاقات والقدرات الفكرية والمادية وغيرها لهذا المجتمع في سبيل خدمة الهدف .

والمسجد هو الذي يمكن فيه تحقيق كل ذلك ، إذ لم يكن مجرد محل للعبادة فقط ولا غير ، بل كان هو الوسيلة الفضلى للتثقيف الفكري ، إن لم نقل : إنه لا يزال حتى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثقافة والفكر والرأي ، حينما يفترض فيها أن تكون من مصدر واحد ، وتخدم هدفاً واحداً في جميع مراحل الحياة ، مع الشعور بالقدسية ، والارتباط بالله تعالى .

وخلاصة الأمر : أن العمل الاجتماعي عبادة ، والجهاد عبادة ، والعمل السياسي حتى استقبال الوفود ، وتدبير أمور المسلمين عبادة أيضاً .

وهكذا يقال في علاقات المؤمنين بعضهم ببعض ، وتزاورهم وحضورهم مجلس الرسول « صلى الله عليه وآله » وتعلمهم الأحكام ، فإن كل ذلك وسواه عبادة أيضاً .

والمسجد هو أجلى وأفضل موضع تتجلى فيه هذه العبادة ، كما أن المسجد هو الوسيلة الفضلى للتثقيف ،

وللتربية النفسية ، والخلقية ، والعقائدية .

وهو من الجهة الأخرى وسيلة لشيوع الصداقات ، وبث روح المحبة والمودة بين المسلمين ، فإنه حينما يلتقي المسلمون ببعضهم البعض عدة مرات يومياً في جو من الشعور – عملاً – بالمساواة والعدل ، وحينما تتساقط كل فوارق الجاه والمال ، وغيرها ، ويبتعد شبح الأنانية والغرور عن أفق هذا الإنسان ، فإنه لا بد أن تترسخ حينئذٍ فيما بين أفراد هذا المجتمع أواصر المحبة والتآخي والتآلف ، ويشعر كل من أفراده بأنه في مجتمع يبادله الحب والحنان ، وأن له إخواناً يهتمون به ، ويعيشون قضاياه ومشاكله ، ويمكنه أن يستند إليهم ، ويعتمد عليهم ، الأمر الذي يجعل هذا المسلم يثق بنفسه وبدينه ، وبأمته ، وليكون المثال الحي للمؤمن الصادق الواعي والواثق ، ولتكون الأمة من ثم خير أمة أخرجت للناس .

وبعدما تقدم ، فإننا نعرف : أن النبي « صلى الله عليه وآله » قد أسس المسجد ليكون بمثابة مركز للقيادة والريادة ، ففيه كان « صلى الله عليه وآله » يستقبل الوفود ، ويبت في أمور الحرب والسلم ، ويفصل الخصومات ، وفيه كان يتم البحث عن كل ما يهم الدولة وشؤونها ، والناس ، ومعاملاتهم وارتباطاتهم ، وليهب المسجد الناس نفحة روحية ، وارتباطاً بالله جل وعلا ، وببعضهم البعض في كل مجالات الحياة ، ومنطلقاتها ، بعيداً عن النوازع الذاتية ، وعن الحساسيات القبلية والعرقية ، وعن تأثيرات الفوارق الاجتماعية .

والخلاصة : لقد كان المسجد موضع عبادة وتعلم وتفهم لما يفيد في أمور الدين والدنيا ، وتربية نفسية وخلقية ، ومحلاً للبحث في كل المشاكل التي تهم الفرد والمجتمع ومكاناً مناسباً للتعارف والتآلف بين المسلمين ،إلى غير ذلك مما تقدم .

مشاركة النساء في بناء المسجد :

ورد في بعض النصوص : أن النساء قد شاركن في بناء المسجد، فكن يحملن الحجارة لبناء المسجد ليلاً والرجال نهاراً .

ونشير هنا إلى أمرين :

الأول: إن مشاركة المرأة في أمر كهذا ، له مساس بالحالة السياسية والاجتماعية والعبادية ، يعتبر أمراً مهماً جداً ، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن المرأة لم يكن لها أي دور في الحياة وكان العربي يحتقرها ، ويمارس ضدها أبشع أنواع المعاملة.

الثاني : إن هذه المشاركة قد روعي فيها عنصر الحفاظ على الجو الخاص بالمرأة ، بعيداً عن أجواء الإثارة التي لا بد وأن تترك آثارها السلبية على المجتمع ، نتيجة للاختلاط ، وعدم التحفظ ، الذي ينشأ عن عملهن نهاراً في مرأى ومسمع من الرجال الأجانب .

مشاركة النبي (صلّى الله عليه وآله) في بناء المسجد :

ولقد كان المسلمون قادرين على القيام بمهمة بناء المسجد ، ولم تكن ثمة حاجة مادية لمشاركته « صلى الله عليه وآله » ، ولكنه « صلى الله عليه وآله » قد آثر المشاركة في عملية البناء ، الأمر الذي أثار الحماس لدى المسلمين ، فاندفعوا يعملون بجد ونشاط ، كما أن هذه المشاركة قد أعطت قيمة خاصة للعمل ، وعبرت عن مدى ارتباط النبي « صلى الله عليه وآله » به وحبه له ، وفوق ذلك ، فإنه قد بين بذلك الخط العام لشخصية القائد في الإسلام ، وأنه يجب أن يكون شعوره بالمسؤولية تجاه العمل يتعدى حدود إصدار الأوامر إلى الآخرين ، ولا سيما إذا كان ذلك يرتبط بالهدف الأقصى ، والمصلحة العليا للإسلام وللمسلمين .

****

المؤاخاة :

بعد خمسة أو ثمانية أشهر أو أقل ، أو أكثر من مقدمه « صلى الله عليه وآله » المدينة ، آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وقيل أنه « صلى الله عليه وآله » آخى في نفس الوقت بين المهاجرين والمهاجرين ، آخى بينهم على الحق والمواساة .

عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم :

ويقولون : كان المسلمون حين المؤاخاة تسعين رجلاً ، منهم خمسة وأربعون رجلاً من الأنصار ، ومثلهم من المهاجرين ، ويدعي ابن الجوزي : أنه أحصاهم فكانوا جميعاً ستة وثمانين رجلاً ، وقيل : مئة رجل.

ولربما يكون هذا هو العدد الذي وقعت المؤاخاة بين أفراده حسبما توفر من عدد المهاجرين ، لا أن عدد المسلمين كان هو ذلك ؛ وإلا فإنها تكون صدفة نادرة أن يكون عدد من أسلم من المهاجرين مساوياً لعدد من أسلم من الأنصار بلا زيادة ولا نقيصة ! ! .

ومهما يكن من أمر : فإن النبي الأكرم « صلى الله عليه وآله » استمر يجدد المؤاخاة ، بحسب من يدخل في الإسلام ، أو يحضر إلى المدينة من المسلمين ، ويدل على ذلك ، أنهم يذكرون : أنه « صلى

الله عليه وآله » قد آخى بين أبي ذر والمنذر بن عمرو أو سلمان المحمدي ، وأبو ذر إنما قدم المدينة بعد أحد ، كما أنه قد آخى بين الزبير وابن مسعود ، وقد وصل ابن مسعود إلى المدينة والنبي « صلى الله عليه وآله » يتجهز إلى بدر .

ولكن ، ربما يشكل على العدد المذكور في قضية المؤاخاة : بأن المسلمين كانوا أكثر من ذلك بكثير ، فقد بايعه من أهل المدينة في العقبة الثانية أكثر من ثمانين ، كما أنه جهز جيشاً بعد عشرة أو ثلاثة عشر

شهراً إلى بدر قوامه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

ثم استمرت المؤاخاة كلما ازداد عدد المهاجرين ، حتى بلغوا مئة وخمسين رجلاً .

مؤاخاة النبي (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السّلام) :

روى أحمد بن حنبل وغيره : أنه « صلى الله عليه وآله » آخى بين الناس ، وترك علياً حتى الأخير ، حتى لا يرى له أخاً ؛ فقال : يا رسول الله ، آخيت بين أصحابك وتركتني ؟ فقال : إنما تركتك لنفسي ، أنت أخي ، وأنا أخوك ، فإن ذكرك أحد ، فقل : أنا عبد الله وأخو رسوله ، لا يدعيها بعدك إلا كذاب ، والذي بعثني بالحق ، ما أخرتك إلا لنفسي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي .

ما الهدف من المؤاخاة :

أولاً : البديل الأنسب : إن من الواضح : أن هؤلاء الذين أسلموا قد انفصلوا عن قومهم ، وعن إخوانهم ، وعن عشائرهم بصورة حقيقية وعميقة ، وقد واجههم حتى أحب الناس إليهم بأنواع التحدي والأذى ؛ فأصبحوا وقد انقطعت علائقهم بذوي رحمهم وصاروا كأنهم لا عصبة لهم ، وقد يشعر بعضهم أنه قد أصبح وحيداً فريداً ، وبلا نصير ولا عشيرة ، فجاءت الأخوة الإسلامية لتسد هذا الفراغ بالنسبة إليهم ، ولتبعد عنهم الشعور بالوحدة ، وتبعث في نفوسهم الأمل والثقة بالمستقبل .

ثانياً : السمو بالعلاقات الإنسانية : لقد أُريد للمسلمين المؤمنين أن يكونوا إخوة ، وذلك بهدف السمو بعلاقات هذا الإنسان عن المستوى المصلحي وجعلها علاقة إلهية خالصة تصل إلى درجة الأخوة ، وليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية وانسجاماً ، وبعيداً عن النوازع النفسية ، التي ربما توحي للأخوين المتعاونين بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينهما ولو نفسياً على أقل تقدير .

ورغم أن الإسلام قد قرر ذلك ، وأكد على (أن المؤمن أخو المؤمن أحب أم كره) ، وحمله مسؤولية العمل

بمقتضيات هذه الأخوة ، إلا أنه قد كان ثمة حاجة إلى إظهار ذلك عملياً ، بهدف توثيق عرى المحبة وترسيخ أواصر الصداقة والمودة كما هو معلوم ، وليكون الهدف السامي قد انطلق من العمل السامي أيضاً .

ثالثاً : دور المؤاخاة في بناء المجتمع الجديد : لقد كان الرسول الأعظم « صلى الله عليه وآله » بصدد بناء مجتمع جديد ، يكون المثل الأعلى للصلاح والفلاح ، قادراً على القيام بأعباء الدعوة إلى الله ، ونصرة دينه ، في أي من الظروف والأحوال .

وقد تقدمت – عند البحث عن عملية بناء المسجد – الإشارة إلى واقع وجود الفوارق الكبيرة بين المهاجرين أنفسهم ، والأنصار أنفسهم ، والمهاجرين والأنصار معاً – الفوارق – الاجتماعية ، والقبلية ، والثقافية ، والنفسية ، والعاطفية ، وحتى العمق العقيدي ومستوى الالتزام ، فضلاً عما سوى ذلك ، هذا بالإضافة إلى الظروف النفسية والمعيشية التي كان يعاني منها المهاجرون بالخصوص .

ومع ملاحظة حجم التحدي ، الذي كان يواجه هذا المجتمع الناشئ الجديد ، سواء في الداخل : من الخلافات بين الأوس والخزرج ، الذين كان الكثيرون منهم لا يزالون على شركهم ، ثم من المنافقين ، ومن يهود المدينة ، ومن الخارج : من اليهود ، والمشركين في جزيرة العرب ، بل والعالم بأسره .

مع ملاحظة كل ذلك ، وحيث أصبح من المفترض بهذا المجتمع أن يكون بمثابة كتلة واحدة متعاضدة ، ومترابطة ، بعد أن كانوا أحزاباً وجماعات وأفراداً فكان لا بد من إيجاد روابط وثيقة تشد هذا المجتمع بعضه إلى بعض ، وبناء عواطف راسخة ، قائمة على أساس عقيدي .

أن هذه المؤاخاة قد أقيمت على أساسين اثنين :

الأول : الحق : فالحق هو القاسم المشترك بين الجميع ، عليه يبنون علاقاتهم ، وهو الذي يحكم تعاملهم مع بعضهم البعض في مختلف مجالات الحياة .

نعم ، الحق هو الأساس ، وليس الشعور الشخصي النفسي ، ولا المصلحة الشخصية أو القبلية ، أو الحزبية ! .

وبديهي : أن الحق إذا جاء عن طريق الأخوة والحنان والعطف ، فإن ذلك يكون ضمانة لبقائه واستمراره ، والتعلق به ، والدفاع عنه .

أما إذا فرض هذا الحق فرضاً عن طريق القوة والسلطة ، فبمجرد أن تغيب السلطة ، والقوة ، فلنا أن

نتوقع غياب الحق ، لأن ضمانة بقائه ذهبت ، فأي مبرر يبقى لوجوده ، وبقائه ؟ ! .

بل ربما يكون وجوده وبقاؤه مثاراً للأحقاد والإحن التي ربما يتولد عنها الظلم والطغيان في أبشع صوره وأخزاها ، وأسوأ حالاته وأقصاها .

الثاني : المؤاساة : فهذه الأخوة إذاً ، ليست مجرد توهج عاطفة ، أو شعور نفسي ، وإنما هي أخوة مسؤولة ومنتجة ، تترتب عليها آثار عملية بالفعل ، يحس الإنسان فعلاً بجدواها وبفعاليتها ، تماماً كالأخوة التي في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ .

حيث جعل مسؤولية الصلح بين المؤمنين متفرعة وناشئة عن الأخوة الإيمانية ، وإذا كانت أخوة خيرة ومنتجة ، فمن الطبيعي أن تبقى ، وأن تستمر ، ومن الطبيعي أيضاً أن يستمر الاحتفاظ بها ، والحفاظ عليها إلى أبعد مدى ممكن ، وقد كانت لهذه المؤاخاة نتائج هامة في تاريخ النضال والجهاد .

****

وثيقة المدينة :

أسس العلاقات في المجتمع الجديد :

يذكر المؤرخون : أنه بعد مدة وجيزة من قدومه « صلى الله عليه وآله » المدينة ، وعلى رأي البعض : بعد خمسة أشهر كتب « صلى الله عليه وآله » كتاباً أو وثيقة بينه وبين اليهود ، أقرهم فيها على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم : أن لا يعينوا عليه أحداً ، وإن دهم أمر فعليهم النصر ، كما أن على المسلمين ذلك في المقابل .

ولكن سرعان ما نقض اليهود العهد ، وعادوا إلى المكر والغدر ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله .

ويلاحظ : أن الوثيقة المشار إليها لم تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم ، وإنما تعرض جانب كبير – بل هو الجانب الأكبر – منها إلى تقرير قواعد كلية ، وأسس عملية للعلاقات بين المسلمين أنفسهم ، كان لا بد منها لتلافي الأخطاء المحتملة قبل أن تقع .

فهذه الوثيقة بمثابة دستور عمل ، يتضمن أسس العلاقات في الدولة الناشئة ، سواء في الداخل أم في الخارج .

وهذه الوثيقة عبارة عن عقد ينظم العلاقة فيما بين المهاجرين والأنصار من جهة ، وبينهم وبين اليهود من

جهة أخرى .

وهذه الوثيقة هي بحق من أهم الوثائق القانونية ، التي لا بد أن يدرسها علماء القانون والتشريع بدقة متناهية ، لاستخلاص الدلائل والأحكام منها ، وأيضاً لمعرفة الغايات التي يرمي إليها الإسلام ، والضوابط التي يرتضيها ، ومقارنتها بغيرها مما يتهالك المستضعفون – فكرياً – من هذه الأمة عليه ، من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطرية وغيرها للإنسان .

نص الوثيقة :

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله « صلى الله عليه وآله » كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي « صلى الله عليه وآله » بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ؛ فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ... ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ... وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ...وإن من تبعنا من اليهود ؛ فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم ... وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ، ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ...وإنكم مهما اختلفتم في شيء ؛ فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد « صلى الله عليه وآله » .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ... وإن الجار كالنفس ، غير مضارٍ ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ...وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد « صلى الله عليه وآله » ، وإن الله على أتقى ما في هذا الصحيفة وأبره ...وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله « صلى الله عليه وآله » (تمت الوثيقة) » .

أهمية الوثيقة :

١ – إنها قد قررت : أن المسلمين أمة واحدة ، رغم اختلاف قبائلهم وانتماءاتهم ، وتفاوت مستوياتهم ، وحجم ونوع طموحاتهم ، ورغم اختلاف حالاتهم المعيشية ، والاجتماعية ، وغير ذلك .

ولهذا القرار أبعاده السياسية ، وله آثاره الحقوقية ، وغيرها ، ثم له آثار وانعكاسات على التكوين السياسي

، والاجتماعي ، وعلى الحالة النفسية ، والعاطفية ، والفكرية ، والمعيشية ، والحياتية بصورة عامة .

٢ – لقد قررت الوثيقة أيضاً : أن من كان عليه دين ، ولم يكن له عشيرة تعينه في فداء أسيره ، فعلى المسلمين إعانته في فداء ذلك الأسير .

٣ – وجاء في الوثيقة أيضاً : أن مسؤولية دفع الظلم تقع على عاتق الجميع ، ولا تختص بمن وقع عليه الظلم .

٤ – وجاء فيها أيضاً قرار بإلغاء القبلية التي توجب على القبيلة الانتصار لأبنائها ، حتى ولو كانوا

المعتدين على غيرهم ، والظالمين لهم ، حيث تقرر أن على جميع المؤمنين أن يلاحقوا القاتل ، من كان ، ومهما كان .

٥ – إظهار المسلمين أمام أعدائهم على أنهم قوة واحدة ومتماسكة ومتناصرة ، له أثر كبير في تكريس الهيبة لهم في النفوس ، وإبعاد الأطماع في أن ينفذ نافذ إلى المسلمين من خلال التلاعب بالعواطف القبلية أو سواها .

٦– أن الوثيقة لم تعط للمشركين حقوقاً ، ولكنها فرضت عليهم قيوداً ، فليس للمشرك أن يجير مالاً لقريش ، ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

****

تغيير اتجاه القبلة :

جاء في الروايات : أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة قد كان بعد معركة بدر عام ٢ هـ ، وفي تفسير القمي : أن ذلك كان بعد الهجرة بسبعة أشهر ، وصحح صاحب تفسير الميزان : أن ذلك كان في رجب ، وقيل : في النصف من شعبان .

وعنه « صلى الله عليه وآله » : إن ذلك قد كان بعد سبعة عشر شهراً ، وقد صُرف إلى الكعبة ، وهو في صلاة العصر ، وكان « صلى الله عليه وآله » حين قدم المدينة يتوجه إلى بيت المقدس ، فصار اليهود يعيرونه ، ويقولون : أنت تابع لنا ، تصلي إلى قبلتنا ، فاغتم رسول الله « صلى الله عليه وآله » من ذلك غماً شديداً ، وكان قد وُعد بتحويل القبلة ، فخرج في جوف الليل يقلب وجهه في السماء ، ينتظر أمر الله تعالى في ذلك ، وأن يكرمه بقبلة تختص به .

فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر – وقيل العصر – وكان في مسجد بني سالم ، صلى الظهر بهم ركعتين ؛ فنزل جبرائيل ، فأخذ بعضديه ، فحوله إلى الكعبة ، فاستدارت الصفوف خلفه ؛ فأنزل الله عليه : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ .

فصلى ركعتين إلى الكعبة ، فقالت اليهود ، الذين شق عليهم ذلك ، والسفهاء ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ .

ويقال : إن المسجد الذي جرى فيه ذلك سمي بـ » مسجد القبلتين » .

وربما يقال : كيف يغتم « صلى الله عليه وآله » لتعيير اليهود ؟ فإن وجود حكم شرعي موافق لهم ، لا يوجب غمه « صلى الله عليه وآله » ، ولا فعالية تعييرهم إياه ؛ إذ ما أكثر الأحكام التي هي من هذا القبيل ؛ فلماذا اختاروا منها تعييره في موضوع القبلة فقط ؟ ! .

ولو قبلنا : أنهم فعلوا ذلك ، فإنه « صلى الله عليه وآله » إذا كان يعلم أن في هذا الحكم مصلحة ، فإنه يأنس به ، ويرتاح له ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ولذا فهو لا يغتم لتعيير أحد .

ويمكن الجواب عن ذلك : أنه يمكن أن يكون « صلى الله عليه وآله » يرى : أن ذلك يهيئ الفرصة لأعداء الإسلام لفتنة المؤمنين عن دينهم ، وصد غيرهم عن التوجه إليه ، والدخول فيه ؛ فهو حينئذٍ يغتم ويهتم لذلك ، وينتظر الإذن من الله بتحويل القبلة لتفويت الفرصة على أعدائه ، الذين سوف لن يدعوه وشأنه ، والذين يعيشون في المتناقضات ، فإذا صلى إلى قبلتهم عيروه ، وإذا تحول عنها ، فسيقول السفهاء من الناس : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، وهذه هي طبيعة الإنسان الذي لا يرى نفسه مسؤولاً عن مواقفه وحركاته وكلماته ، ولا ينطلق في مواقفه إلا من موقع السفه ، وعدم التثبت .

علة تحويل القبلة :

ذكر مفسرو القرآن الكريم عللاً لتحويل القبلة منها :

١ – في سنوات حضور النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في مكة المكرمة كانت الكعبة مكاناً للاحتفاظ بأصنام المشركين ، ففي تلك الفترة وبأمر من الله وبصورة مؤقتة اتجه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بيت المقدس كي ينفصل صفوف المسلمين عن المشركين الذين كان جل اهتمامهم إلى الكعبة وعبادة الأوثان .

٢ – مع تأسيس الحكومة الإسلامية في المدينة استقام مجتمع المسلمين حدوداً قد تبين صفوف المسلمين عن بقية سكان المدينة تماماً ؛ لذا ما كان من الضرورة الاتجاه نحو بيت المقدس، مما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) يتطلع لتحويل القبلة، فحينئذ حوّلت القبلة إلى الكعبة وبيت الله الحرام تلك البقعة التي طالما كانت مركزاً لأنبياء الله ، مع نزول آية القبلة وبأمر من الله قام المسلمون وتوجهوا في صلواتهم إلى الكعبة تمييزاً عن اليهود وقبلتهم بيت المقدس .

٣ – بعد أن هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة قام اليهود باستغلال موقف مسلمين باتخاذهم بيت المقدس قبلة لهم ، وكان اليهود يرون ذلك علامة على النقص في الإسلام وأحقيتهم ، فبناءً على بعض الروايات كان يهود المدينة يدّعون أن المسلمين ما كان لديهم قبلة، بل اليهود هم الذين وجهوهم إلى بيت المقدس .

٤ – من الحكم التي تكمن خلف هذه القضية هي سنة ابتلاء المسلمين ؛ لأنّ من كان مطيعاً ومخلصاً لله في عقيدته تقبّل هذا الأمر دون أي اعتراض ، لكن من كان متزلزلاً في مبادئه، ولم يصل إلى درجة تفويض الأمور إلى الله ضم صوته إلى صوت اليهود المحتجين على تحويل القبلة ، فكانوا يرون من الصعب تقبّل هذه القضية، فهذا الامتحان كان من الاختبارات الإلهيّة الصعبة للمسلمين .

****

سراياه وغزواته (صلّى الله عليه وآله) قبل معركة بدر :

هنا يبدأ المؤرخون بذكر غزواته وسراياه (صلى الله عليه وآله) ، ويقصدون بـ (الغزوة) : الجيش الذي يخرج فيه (صلى الله عليه وآله) بنفسه ، وبـ (السرية) : البعث الذي لا يكون رسول الله « صلى الله عليه وآله » فيه .

وقد اختلفت كلماتهم في عدد غزواته وسراياه اختلافاً كثيراً ، ولا نرى حاجة لإطالة الكلام في تحقيق ذلك .

وصية النبي « صلى الله عليه وآله » للسرايا :

كان « صلى الله عليه وآله » إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم ، فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : « سيروا باسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها ، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين ، فهو جار ، حتى يسمع كلام الله ؛ فإن تبعكم ، فأخوكم في

الدين ، وإن أبى فأبلغوه مأمنه ، واستعينوا بالله عليه ... الخ»

السرايا الأولى :

يذكر المؤرخون ، أنه :

١ – بعد سبعة أشهر من مقدمه « صلى الله عليه وآله » المدينة عقد لحمزة بن عبد المطلب على ثلاثين من المهاجرين ، ليلقوا أبا جهل ؛ فلقوه ، وهو في ثلاثمائة من المشركين ، لكن مجدي بن عمرو الجهني الذي كان موادعاً للفريقين ، حجز بينهما ، وانصرفوا من غير قتال .

٢ – ثم كانت غزوة الأبواء بعد مقدمه « صلى الله عليه وآله » بسنة أو أكثر ، أو أقل ، خرج فيها النبي « صلى الله عليه وآله » بنفسه يريد قريشاً ، وبني مرة بن بكر ، فتلقاه سيد بني مرة بالأبواء ، فصالحه ، ثم رجع « صلى الله عليه وآله » إلى المدينة .

٣ – وبعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة ، ووادع فيها بني مدلج ، وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، وفيها كني علي « عليه السلام » بأبي تراب .

لماذا هذه السرايا ؟ :

١ – انها جرأت المسلمين ، وأعادت لهم الثقة بأنفسهم ، وأعدتهم ليواجهوا – على قلة العدد والعدة – ألف فارس من قريش ، وهي في أوج خيلائها وعزتها ، ولم يعد ذلك مفاجأة للمسلمين ، ولا مرهباً لهم .

٢ – الموادعات والتحالفات : فقد نتج عن تلك السرايا مهادنات وموادعات ، وتحالفات على النصر ضد العدو ، بين المسلمين وبين كثير من القبائل المتواجدة في المنطقة ، حينما شعرت تلك القبائل بقوة المسلمين ، وقدرتهم على التحرك ، وبتصميمهم على مواجهة حتى قريش بالحرب .

ومن الطبيعي أن ينتج عن هذه المعاهدات والتحالفات تخوف ورعب في قلوب سائر القبائل القريبة من المدينة ، بحيث لا بد لتلك القبائل من التفكير ملياً قبل أن تقدم على أي عمل ضد المدينة مباشرة ، أو بواسطة التحالف مع أعداء المسلمين ، وذلك لأنها ترى بالفعل : أن ثمة قوة ضاربة ، لا بد من صياغة التعامل معها بحيث لا يضر بمستقبل مصالحها في المنطقة ، وبهذا يتحقق للمدينة نوع من الشعور بالأمن والاستقرار ، ويمكن المسلمين – من ثم – من أن يتحركوا بحرية أكثر ، في مواجهاتهم لقريش، وهو ما ظهر في حرب بدر ، وبعدها .

كما أن هذه الموادعات والتحالفات كانت بمثابة صدمات نفسية ، بل هي صفعات مؤلمة لقريش ، التي ترى الآن كيف أن المسلمين قد أصبحوا قوة يرهب جانبها ، ويسعى الكثيرون إلى عقد التحالفات الدفاعية معها ، وعلى الأخص من القبائل التي تقع على طريق تجارة مكة ، وكانت تعتبرها قريش سنداً وعوناً لها ، كلما أهمها أمر ، أو تعرضت لخطر .

أضف إلى ذلك كله ، أنه لم يعد باستطاعة قريش أن تعقد تحالفات مع تلكم القبائل القريبة من المدينة ، وتتخذ منها قوة ضاغطة على المدينة ، ووسيلة لمضايقته .

٣ – مضايقة قريش : إن هذه السرايا كانت تهدف إلى الضغط على قريش اقتصادياً ، وكذلك نفسياً أيضاً ، وتعريفها : أن المسلمين سوف لن يتركوها حرة في المنطقة ، ما دامت قد شردتهم ، وآذتهم وسلبتهم أموالهم ، وقتلت منهم .

وقد شرط النبي « صلى الله عليه وآله » على المشركين في وثيقة العهد المتقدمة ، أن يقطعوا صلاتهم بالمشركين الآخرين .

ويلاحظ : أنه لم يكن ثمة إصرار على قتال قريش ، ومناجزتها الحرب ، ولذلك قبل حمزة بوساطة الجهني ، وهذا يعزز الاستنتاج القائل : إن المقصود من تلك السرايا هو تعريف قريش : أنها لم تعد تملك حرية الحركة في المنطقة ، ولا هي سيدة الموقف ، ولا تستطيع بعد الآن أن تأمن على قوافلها التجارية إلى الشام ، إلا بالعودة إلى منطق التعقل ، والروية ، والحكمة ، والتخلي عن منطق الظلم والغطرسة والتجبر ، وأن عليها مراجعة حساباتها ، لتقتنع بأنه إذا كان حسم الموقف عسكرياً صعباً جداً بالنسبة إليها ، فما عليها إلا أن ترضخ للأمر الواقع ، وتعترف بما لا بد لها من الاعتراف به ، إن عاجلاً ، وإن آجلا ، وإلا ، فلتأذن بحرب من الله ورسوله لا تنتهي إلا بتدمير عنفوانها ، وتحطيم كبريائها ، وهكذا كان .

محاولة قرشية فاشلة قبل معركة بدر :

وبعد مضي مدة على وجود النبي الأعظم « صلى الله عليه وآله » والمسلمين في المدينة ، كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول ، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله « صلى الله عليه وآله » يومئذٍ بالمدينة – قبل وقعة بدر – يقولون : « إنكم آويتم صاحبنا ، وإنكم أكثر أهل المدينة عدداً ، وإنا نقسم بالله ، لتقتلنه ، أو لتخرجنه ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ، ونستبيح نساءكم » .

فلما بلغ ذلك ابن أُبي ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا ؛ فاجتمعوا ، وأجمعوا لقتال النبي « صلى الله

عليه وآله » .

فلما بلغ ذلك النبي « صلى الله عليه وآله » وأصحابه لقيهم في جماعة ، فقال : « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم . فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم » .

فلما سمعوا ذلك من النبي « صلى الله عليه وآله » تفرقوا ؛ فبلغ ذلك كفار قريش ، وكانت وقعة بدر .

****

الانتداب إلى بدر (معركة بدر) :

*بدر : هي ماء يقع بين مكّة والمدينة أسفل وادي الصفراء، وتقع بدر غرب المدينة على بعد يقرب من ١٥٠ كلم، وتبعد عن مكّة ما يقرب من ٣٤٠ كلم .

وفي السنة ٢ هـ ، في ١٧ من شهر رمضان المبارك كانت حرب بدر العظمى بين المسلمين ومشركي مكة .

وذلك أن القافلة التي طلبها المسلمون في غزوة العشيرة وأفلتت منهم إلى الشام ، ظل النبي « صلى الله عليه وآله » يترقبها ، حتى علم بعودتها ، وكانت بقيادة أبي سفيان ، مع ثلاثين ، أو أقل ، أو أربعين ، أو سبعين راكباً ، وفيها أموال قريش ؛ حتى قيل : إن فيها ما قيمته خمسون ألف دينار ، في ذلك الوقت الذي كان فيه للمال قيمة كبيرة .

فندب رسول الله « صلى الله عليه وآله » المسلمين للخروج إليها ؛ فانتدب الناس ؛ فخف بعضهم ، وثقل آخرون ، ولعلهم تخوفوا من كرة قريش عليهم ، حينما لا بد لها من محاولة الانتقام لهذا الإجراء الذي يستهدف مصالحها الحيوية .

يقول عدد من المؤرخين : « وأبطأ عن النبي « صلى الله عليه وآله » كثير من أصحابه ، وكرهوا خروجه » ، وقد حكى الله تعالى ذلك ، فقال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ .

وخرج المسلمون يريدون القافلة ، وعلم أبو سفيان بالأمر ، فأرسل إلى قريش يستنفرهم لنجاة القافلة .

موقف قريش :

وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالاً لتجهيز الجيش ، وقالوا : من لم يخرج نهدم داره ، فلم يتخلف رجل إلا أخرج مكانه رجلاً .

النبي (صلّى الله عليه وآله) يستشير في أمر الحرب :

لما كان المسلمون قرب بدر ، وعرفوا بجمع قريش ، ومجيئها ، خافوا وجزعوا من ذلك ؛ فاستشار النبي «صلى الله عليه وآله » أصحابه في الحرب ، أو طلب القافلة .

فقام أبو بكر ، فقال : يا رسول الله ، إنها قريش وخيلاؤها ، ما آمنت منذ كفرت ، وما ذلت منذ عزت ، ولم تخرج على هيئة الحرب ، فقال له رسول الله « صلى الله عليه وآله » : إجلس ؛ فجلس ؛ فقال «صلى الله عليه وآله » : أشيروا عليّ ، فقام عمر ، فقال مثل مقالة أبي بكر ، فأمره النبي « صلى الله عليه وآله » بالجلوس ، فجلس .

ثم قام المقداد فقال : يا رسول الله ، إنها قريش وخيلاؤها ، وقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا : أن ما جئت

به حق من عند الله ، والله لو أمرتنا : أن نخوض جمر الغضا (نوع من الشجر صلب) ، وشوك الهراس لخضناه معك ، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ، ولكنا نقول : إذهب أنت وربك ؛ فقاتلا ، إنا معكم مقاتلون ، والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك ، ومن بين يديك ، ولو خضت بحراً لخضناه معك ، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك ، فأشرق وجه النبي « صلى الله عليه وآله » ، ودعا له ، وسُر لذلك ، ومن الواضح : أن سرور النبي « صلى الله عليه وآله » بكلام المقداد ، ودعاءه له يدل على أن كليهما (أعني أبا بكر وعمر) لم يكن منسجماً مع ما كان يهدف إليه النبي « صلى الله عليه وآله » .

ثم توجه النبي « صلى الله عليه وآله » إلى الأنصار : وقال : أشيروا عليّ ، لأن أكثر الناس منهم ؛ ولأنه كان يخشى أن يكونوا يرون : أن عليهم نصرته في المدينة ، إن دهمه عدو ، لا في خارجها ، فقام سعد بن معاذ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؛ إنا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، فمرنا بما شئت ، والله ، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ، ولعل الله يريك ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

فسُر النبي « صلى الله عليه وآله » ، وأمرهم بالمسير ، وأخبرهم بأن الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين ، ولن يخلف الله وعده ، ثم قال : والله ، لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة ...الخ ، وسار حتى نزل بدراً .

ويظهر من بعض النصوص : أن الصحابة كانوا – في أكثرهم – يميلون إلى طلب القافلة ، وترك النفير ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قرآنه المجيد ، فهو يقول : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾

عدة وعدد المسلمين والمشركين :

وكان رسول الله « صلى الله عليه وآله » قد خرج في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وكان تعدادُ جيش قريش ألفَ رجلٍ ، أي كانوا يشكِّلون ثلاثة أضعاف جيش المسلمين من حيث العدد تقريباً .

ولما بلغ المسلمين كثرة المشركين ، خافوا ، وتضرعوا إلى الله ، وعن أبي جعفر الباقر « عليه السلام » : لما نظر النبي « صلى الله عليه وآله » إلى كثرة المشركين ، وقلة المسلمين ، استقبل القبلة ، وقال : «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » ؛ فنزلت الآية : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ .

المواجهة :

ولما أصبح رسول الله « صلى الله عليه وآله » عبأ أصحابه ، وكانت رايته مع أمير المؤمنين « عليه السلام » ، وكان « عليه السلام » صاحب لواء رسول الله « صلى الله عليه وآله » في بدر ، وفي كل مشهد .

وقال أبو جهل يشجع أصحابه مشيراً إلى قلة عدد المسلمين : « ما هم إلا أكلة رأس ، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد » .

النبي (صلّى الله عليه وآله) لا يبدأ القتال :

ثم إننا نجد : أن النبي « صلى الله عليه وآله » لا يبدأ القتال ، ويأمر المسلمين أن لا يبدأوا به ، ويحاول أن يعطي الطرف الآخر الفرصة ، ويقدم له خيارات كلها فيها مخرج مشرف له ؛ فإذا أبى ذلك ، وطغى وبغى ، واعتدى على المسلمين ، فإن من حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأن يردوا كيد المعتدي ، من كان ، ومهما كان .

وهكذا كان أمير المؤمنين « عليه السلام » مع أعدائه ، سواء في حياة النبي « صلى الله عليه وآله » ، أو بعد وفاته ، ثم كان هو حال الحسين (عليه السلام) مع جيش يزيد « لعنه الله » ، بل إن ذلك كان هو

شعار شيعة أهل البيت (رضوان الله تعالى عليهم) ، اقتداءً بإمامهم ، الذي يقتدي بالنبي الأعظم « صلى الله عليه وآله » .

المبارزة :

وكان أول من برز للقتال عتبة ، وشيبة ، والوليد ؛ فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار ، فقالوا لهم : ارجعوا ؛ فإنا لسنا إياكم نريد ، إنما نريد الأكفاء من قريش ، فأرجعهم النبي « صلى الله عليه وآله » ، وبدأ بأهل بيته ؛ لأنه كره أن تكون البدأة بالأنصار ، وندب عبيدة بن الحارث ، وحمزة ، وعلياً ، قائلاً : « قم يا عبيدة ، قم يا عم ، قم يا علي ، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم إلخ » .

فسأل عتبة عنهم ، فأخبروه عن أنفسهم ، وسأل شيبة عن حمزة ، فقال له : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، فقال شيبة : قد لقيت أسد الحلفاء ، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله .

فقَتل علي « عليه السلام » الوليد ، وجاء فوجد حمزة معتنقاً شيبة ، بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف ، فقال : يا عم طأطئ رأسك ، وكان حمزة طويلاً ، فأدخل رأسه في صدر شيبة ؛ فاعترضه علي بالسيف فطير نصفه (أي نصف رأسه) ، وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة ، وفلق عبيدة هامته ، فجاء علي (عليه السلام) فأجهز على عتبة أيضاً ، فيكون أمير المؤمنين « عليه السلام » قد شَرك في قتل الثلاثة ، ومما يدل على أنه شرك في قتلهم جميعاً ، ما ورد في كتاب «المُقنع » من أن هنداً قالت :

ما كان لي عن عتبة من صبر * أبي ، وعمي ، وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر * بهم كسرت يا علي ظهري

هزيمة المشركين :

وانجلت غبرة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وظهرت بوادر انتصار المسلمين على أعدائهم المشركين، الذين انتابهم خوفٌ ورعبٌ شديدان، وإذا بهم ينهزمون أمام زحف المسلمين ويلوذون بالفرار، لا يلوون على شيء، والمؤمنون في أعقابهم يوسعونهم قتلً وأسرًا ، ولم تمض ساعة على انتهاء المعركة إلّا وكانت نتائجها قد ظهرت : هزيمة منكرة للمشركين وانتصار باهر للمسلمين .

نتائج الحرب :

وقتل في بدر سبعون من المشركين، وأسر مثلهم ، واستشهد من المسلمين ، قيل تسعة ، وقيل أحد عشر ، وقيل : أربعة عشر ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، ولم يؤسر من المسلمين أحد ،

وغنموا من المشركين مئة وخمسين بعيراً ، وعشرة أفراس ، ومتاعاً ، وسلاحاً .

بطولات الإمام علي (عليه السّلام) :

وأكثر قتلى المشركين قتلوا على أيدي المهاجرين ، وبالتحديد على يد أهل بيت النبي « صلى الله عليه وآله » ، وبالذات على يد علي « عليه السلام » ، وقد سماه الكفار يوم بدر بـ » الموت الأحمر » لعظم بلائه ونكايته بهم .

****

زواج السيدة فاطمة الزهراء (عليه السلام) :

كان الإمام علي (عليه السلام) في السنة الأولى من الهجرة النبوية ابن أربع وعشرين سنة ؛ وكان لا بُدَّ له من الزواج وبدء الحياة المشتركة، وكانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) قد بلغت يومئذ التاسعة من عمرها .

فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: « صلّيت يوم الجمعة صلاة الفجر، إذ سمعت حفيف الملائكة، وإذا بحبيبي جبرئيل ومعه سبعون صفّاً من الملائكة ، فقلت : ما هذه القعقعة من السماء يا أخي جبرئيل ؟! فقال : يا محمد! إن الله عز وجل أطّلع على الأرض إطّلاعةً فاختار منها من الرجال علياً ، ومن النساء فاطمة ، فزوّج فاطمة من علي ، فرفعت فاطمة (عليها السلام) رأسها وتبسّمت... وقالت : رضيت بما رضي الله ورسوله .

قال أنس : أقبل علي (عليه السلام) فتبسم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: « يا علي، إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة فقال علي (عليه السلام) : قد رضيت يا رسول الله ...فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « بارك الله عليكما وفيكما وأسعدكما وأخرج منكما الكثير الطيّب » .

تاريخ الزواج :

كان زواج النورين أمير المؤمنين (عليه السلام) من فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، في المشهور سنة ٢ هـ ليلة الخميس ، وقيل الإثنين .

جهاز زواج الزهراء (عليها السلام) :

كان جهازها (عليها السلام) أربعمائة وثمانين درهماً ، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ أمير

المؤمنين (عليه السلام) جاء بالدراهم وسكبها في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبض منها قبضة ، وكانت ثلاثة وستين أو ستة وستين ، وكانت ثمن درع الإمام (عليه السلام) فأعطى أم أيمن لمتاع البيت ، وأسماء بنت عُميس للطيب ، وأم سلمة للطعام ، وأنفذ معهن عمّار وأبا بكر و بلال ليبتاعوا ما يصلح للبيت من باقي الأثاث .

وليمة الزفاف :

قال الإمام علي(عليه السلام): « قال لي رسول الله(صلى الله عليه وآله): يا علي، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثمّ قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن ، فاشتريت تمراً وسمناً، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذُبح، وخبز لنا خبزاً كثيراً ، ثمّ قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أُدع مَن أحببت ، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة، فاستحييت أن أشخص قوماً وأدع قوماً، ثمّ صعدت على ربوة هناك وناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس أرسالاً، فاستحييت من كثرة الناس وقلّة الطعام، فعلم رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما تداخلني ، فقال: يا علي، إنّي سأدعو الله بالبركة.

قال علي(عليه السلام): "وأكل القوم عن آخرهم طعامي، وشربوا شرابي، ودعوا لي بالبركة، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء " ، وعن ابن عباس في قصة زواج امير المؤمنين (عليه السلام) قال: دعا النبي (ص) بلالاً ، فقال : " يا بلال، إني زوّجت ابنتي ابن عمي، وأنا أحب أن يكون من سنة أمتي إطعام الطعام عند النكاح، فأت الغنم، فخذ شاة، وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلي أجمع عليها المهاجرين والانصار " .

وهكذا تم هذا القرآن الذي اختاره الله سبحانه لهذين الزوجين العظيمين وأراده لها قبل ان يريداه ، وكتب الله لهذين الاسمين الكريمين ان يكونا تعبيراً صادقاً عن الانسان الكامل الذي تكاملت انسانيته واصبح المثل الأعلى لكل بني الانسان من ذكر وانثى ، ولو حاول الإنسان ان يجمع الصدق والحق والعدل والطهر والعفاف ، وما إلى ذلك ، الكريمة لا يمكن ان يجد لها لفظاً يحويها بكاملها غير هذين الاسمين اللذين اتحدا مع جوهر تلك الكلمات ، فكان علي (عليه السلام) خير الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واحب الرجال إليه ، وكانت فاطمة (عليها السلام) سيدة النساء واحبهن اليه.

****

معركة أحد :

في سنة ثلاث للهجرة في شهر شوال كانت غزوة أحد ، وهو جبل يبعد عن المدينة حوالي فرسخ .

وذلك أن نتائج حرب بدر كانت قاسية على مشركي مكة ، ومفاجأة لليهود والمنافقين في المدينة .

فقريش لا يمكن أن تهدأ بعد الآن حتى تثأر لكرامتها ، ولمن قتل من أشرافها ، حتى أعلنوا المنع عن بكاء قتلاهم ؛ لأن ذلك يذهب الحزن ، ويطفئ لهيب الأسى من جهة ، ولأنه يدخل السرور على قلوب المسلمين من الجهة الأخرى .

ولكنهم عادوا فتراجعوا عن هذا القرار ؛ فسمحوا للنساء بالبكاء ، لأن ذلك – بزعمهم – يثير المشاعر ، ويذكر الرجال بالعار الذي لحق بهم ، وأخذ أبو سفيان على نفسه العهد على أن لا يقرب فراش زوجته ما لم ينتقم لقتلى بدر .

ومضت قريش تستعد لقتال النبي محمد « صلى الله عليه وآله » ، وتعبئ النفوس ، وتجهز القوى الحربية لأخذ الثأر ، ومحو العار ، ومضى اليهود الذين أصبحوا يخافون على مركزهم السياسي ، والاقتصادي في المنطقة ، وعلى هيمنتهم الثقافية أيضاً يحرضون المشركين على الثأر ممن وترهم ، وأعلنوا بالحقد ، ونقض العهد ، حتى كال لهم المسلمون ضربات صاعقة ، هدت كيانهم ، وجرحت وأذلت كبرياءهم وغرورهم .

ومن جهة النبي الأعظم « صلى الله عليه وآله » ، ومن معه من المسلمين ؛ فإنهم لن يتخلوا عن قبلتهم ، الكعبة ، ولن يتركوا قريشاً وغطرستها وغرورها ، لا سيما بعد تعدِّيها عليهم ، وظلمها القبيح لهم ، حتى اضطرهم ظلمها وتعدِّيها إلى الهجرة من ديارهم ، تاركين لها أوطانهم ، وكل ما يملكون .

وكذلك ، فإن النبي الأكرم « صلى الله عليه وآله » قد حاصر قريشاً بمعاهداته للقبائل التي في المنطقة ، وموادعاته لها ، وأصبح يسيطر على طريق تجارتها ، ولم يعد هذا الطريق آمناً لها ، وأصبحت ترى نفسها بين فكي (كماشة) ، فلا بد لها إذاً من كسر هذا الطوق ، وتجاوز هذا المأزق .

جيش المشركين إلى أحد :

وخرجت قريش بكل قوتها ومن تابعها من قبائل كنانة واهل تهامة ، وأخرجوا معهم بالظعن خمس عشرة امرأة ، فيهن هند بنت عتبة ، لئلا يفروا ، وليذكرنهم قتلى بدر ، يغنين ويضربن بالدفوف ، ليكون حافزاً لهم في القتال .

وخرج معهم والغلمان بالمعازف والخمور ، وكان جيش المشركين ثلاثة آلاف مقاتل ، وقيل : خمسة آلاف .

وكان في جيش المشركين سبعمائة دارع ، ومئتا فارس على المشهور ، ومئة رامٍ ، ومعهم ألف بعير ، وكانوا بقيادة أبي سفيان الذي صار زعيم قريش بعد قتل أشرافها في بدر .

العباس يرفع تقريراً إلى النبي (صلى الله عليه وآله) :

لم يكن العباس عم النبي قد أسلم إلى تلك الساعة ، بل كان باقيا على دين قريش، ولكنه كان يحب ابن أخيه غاية الحب (وقيل أسلم إنه كان مسلماً سراً ، وقد أمره « صلى الله عليه وآله » بالبقاء في مكة ؛ ليكون عيناً له ، ولازم ذلك هو أن يتظاهر بالشرك ، وأنه معهم ، وعلى دينهم) ولهذا فإنه عندما عرف بتعبئة قريش وعزمهم الأكيد على غزو المدينة ومقاتلة النبي، بادر إلى إخبار النبي، محملاً غفاريا (من بني غفار) رسالة عاجلة يذكر فيها الموقف في مكة وعزم قريش ، وكان الغفاري يسرع نحو المدينة ، حتى أبلغ النبي (صلى الله عليه وآله) رسالة عمه العباس .

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشاور المسلمين :

عمد النبي « صلى الله عليه وآله » بعد أن بلغته رسالة عمه العباس إلى بعث رجلين من المسلمين إلى طرق مكة والمدينة للتجسس على قريش، وتحصيل المعلومات الممكنة عن تحركاتها، ولم يمض وقت طويل حتى عاد الرجلان وأخبرا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بما حصلا عليه حول قوات قريش وأن هذه القوات الكبيرة يقودها أبو سفيان ، وبعد أيام استدعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع أصحابه وأهل المدينة لدراسة الموقف، وما يمكن أو يجب اتخاذه للدفاع، وبحث معهم في أمر البقاء في المدينة ومحاربة الأعداء الغزاة في داخلها، أو الخروج منها ومقاتلتهم خارجها ، فاقترح جماعة قائلين " لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح ، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودروبنا وما خرجنا إلى عدو لنا قط إلا كان الظفر لهم علينا، وكان هذا هو ما قاله "عبد الله بن أُبي بن سلول "، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يميل إلى هذا الرأي نظرا لوضع المدينة يومذاك ، فهو كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يرغب في البقاء في المدينة ومقاتلة العدو في داخلها، إلا أن فريقاً من الشباب المتحمسين الذين رغبوا في الشهادة وأحبوا لقاء العدو، خالفوا هذا الرأي الذي كان عليه الأكابر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : اخرج بنا إلى عدونا، وقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقالوا : يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا وأنت فينا، لا حتى نخرج إليهم فنقاتلهم فمن قُتل منا كان شهيداً ، ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله ، وقال مثلها الآخرون ، وقالوا آخرون: (وقد كنتَ يوم بدر في ثلاثمائة رجل ؛ فأظفرك الله بهم ، ونحن اليوم بشر كثير) وهكذا تزايدت

الطلبات بالخروج من المدينة ومقابلة العدو خارجها حتى أصبح المقترحون بالبقاء أقلية ، فوافقهم النبي – رغم أنه كان يميل إلى البقاء في المدينة – احتراماً لمشورتهم ، ثم خرج مع أحد أصحابه ليرتب مواضع استقرار المقاتلين المسلمين خارج المدينة واختار الشعب من "أحد" لاستقرار الجيش الإسلامي باعتباره أفضل مكان من الناحية العسكرية والدفاعية .

ولكن العلامة السيد الحسني « رحمه الله » يرى : أن النبي « صلى الله عليه وآله » كان يرى الخروج إلى العدو ، عكس رأي عبد الله بن أبي بن سلول ، وإنما استشارهم « صلى الله عليه وآله » ليختبر نواياهم ، ويستدل على ذلك بما ملخصه : أن ملاقاة جيش مكة داخل المدينة سيمكنهم من احتلالها خلال ساعات معدودة ؛ لأن المنافقين ، والمرتابين من سكان المدينة – وعددهم كثير ، وكانوا على اتصال دائم معهم – سيعاونونهم على النبي « صلى الله عليه وآله » والمسلمين ، ولا يُعقل أن يخلص ابن أبي ومن معه من المنافقين والمرتابين من المهاجرين والأنصار في الدفاع عن النبي محمد « صلى الله عليه وآله » ورسالته ، وهم يلتقون مع الغزاة التقاء كاملاً .

إذاً ، فالخروج من المدينة هو الأصوب ، ولو أنه بقي فيها لأصبح خلال ساعات معدودات تحت رحمة المشركين .

ويؤيد رأي العلامة الحسني أيضاً : المبدأ الحربي الذي أطلقه علي « عليه السلام » حينما قال : ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا " .

فلما خرج النبي « صلى الله عليه وآله » عليهم وقد لبس لامته ، ليتوجه مع أصحابه إلى حرب قريش ، قالوا : يا رسول الله ، امكث كما أمرتنا ، فقال « صلى الله عليه وآله » : "ما ينبغي لنبي إذا أخذ لامة الحرب أن يرجع حتى يقاتل " ، وانخذل عنهم عبد الله بن أبي (شيخ المنافقين) بثلث الناس ، وقال : " والله ما ندري على ما نقتل انفسنا والقوم قومه " فرجع بمن أتبعه من اهل النفاق والريب ، وقد ترك ذلك اثراً معنوياً سيئاً في نفوس المسلمين ، حتى ان بعضهم هم بالانسحاب ايضاً كبني حارثة وبني سلمة ، ولكنهم عادوا قبل فوات الاوان ، ونزل في ذلك قرآناً بقوله تعالى : ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ .

س / هل النبي صلّى الله عليه وآله يحتاج إلى رأي أو مشورة أحد ؟

١ / إن النبي « صلى الله عليه وآله » وهو في مقام النبوة ، وفي حين كان أصحابه يتفانون في سبيله ، حتى ليقولون له : إنه لو أمرهم بأن يلقوا أنفسهم في البحر لفعلوا ، فإنه لا يريد أن ينفرد في اتخاذ القرار ،

لأن أقل مضار ذلك هو أن لا يشعر أتباعه بأن لهم شخصيتهم وفكرهم المتميز ، فهو حين يتجاهلهم كأنه يقول لهم : إنهم لا يملكون الفكر والفهم والشعور الكافي ، وإنما هم مجرد آلة تنفيذ لا أكثر ولا أقل ، وهو فقط يملك حرية إصدار القرار ، والتفكير فيه دونهم .

وطبيعي أن ينعكس ذلك على الأجيال بعده «صلى الله عليه وآله» ، فكل حاكم يأتي سوف يستبد بالقرار ، وسيقهر الناس على الانصياع لإرادته ، مهما كانت ،وذلك بحجة أن له في رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسوة حسنة ،مع أنه ليس من لوازم الحكم ، الاستبداد بالرأي ،فقد استشار النبي «صلى الله عليه وآله » وهو معصوم أصحابه في بدر وأحد .

٢ / أن استشارته « صلى الله عليه وآله » أصحابه لا قيمة لها على صعيد اتخاذ القرار ؛ لأن الله ورسوله غنيان عنها بدليل قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله ﴾ فالآية تنص على أن اتخاذ القرار النهائي يرجع إلى الله تعالى ورسوله « صلى الله عليه وآله » لأنهما يعرفان صواب الآراء من خطئها ، فلا تزيدهما الاستشارة علماً ، ولا ترفع جهلاً ، وإنما هي أمر تعليمي أخلاقي للأمة ؛ بملاحظة فوائد المشورة لهم ؛ لأنها تهدف إلى الإمعان في استخراج صواب الرأي بمراجعة العقول المختلفة ، فعن علي أمير المؤمنين « عليه السلام » : من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها " .

التعبئة للقتال :

يقولون : إنه لما وصل النبي « صلى الله عليه وآله » إلى منطقة القتال ، اختار أن ينزل إلى جانب جبل أحد ، بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل ، ثم عبأ أصحابه ، وصار يسوي صفوفهم ؛ حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجاً ، فيؤخره ، وأمرهم أن لا يقاتلوا أحداً حتى يأمرهم، وكان على يسار المسلمين جبل اسمه جبل عينين ، وكانت فيه ثغرة ؛ فأقام عليها خمسين رجلاً من الرماة ، عليهم عبد الله بن جبير ، وأوصاه : أن يردوا الخيل عنهم ، لا يأتوهم من خلفهم ، وفي رواية قال : إن رأيتمونا تختطفنا الطير ، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ، وأوطأناهم ؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وحسب نص آخر : احموا ظهورنا ؛ فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وكان شعاره يوم أحد : أمت . أمت .

بدء القتال :

ثم اصطف الجيشان للحرب ، وراح كل واحد منهما يشجع رجاله على القتال بشكل من الأشكال ، وقد

كان أبو سفيان يحرض رجاله باسم الأصنام ويغريهم بالنساء الجميلات ، وأما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان يحث المسلمين على الصمود والاستقامة ، مذكراً إياهم بالنصر الإلهي والتأييدات الربانية ، بينما تحرض هند والنسوة اللاتي معها من نساء قريش وبناتها الرجال ويضربن بالدفوف ويقرأن الأشعار المثيرة ، وبدأ القتال وحمل المسلمون على المشركين حملة شديدة هزمتهم شر هزيمة ، وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار ، فتقدم اليه الامام علي (عليه السلام) وقتله ، وهكذا كلما حمل اللواء مشرك انقض عليه الإمام علي (عليه السلام) وقتله وكان عدد أصحاب اللواء الذين قُتلوا بسيف الامام علي (عليه السلام) أحد عشر رجلاً ، فلجأ المشركين إلى الفرار وراح المسلمون يتعقبونهم ويلاحقون فلولهم ، ولما علم "خالد" بهزيمة المشركين وأراد أن يتسلل من خلف الجبل ليهجم على المسلمين من الخلف تصدى له الرماة بنبالهم، وحالوا بينه وبين نيته ، هذه الهزيمة القبيحة التي لحقت بالمشركين دفعت ببعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام إلى التفكير في جمع الغنائم والانصراف عن الحرب، بظن أن المشركين هُزموا هزيمة كاملة ، حتى أن بعض الرماة تركوا مواقعهم في الجبل متجاهلين تذكير قائدهم "عبد الله بن جبير" إياهم بما أوصاهم به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يبق معه إلا قليل ظلوا يحافظون على تلك الثغرة الخطرة في الجبل محافظة على المسلمين ، فتنبه "خالد بن الوليد" إلى قلة الرماة في ذلك المكان ، فكر راجعاً بالخيل (وعددهم مائتا رجل كانوا معه في الكمين) فحملوا على "عبد الله بن جبير" ومن بقي معه من الرماة وقتلوهم بأجمعهم ، ثم هجموا على المسلمين من خلفهم (فأصبحوا بين مطرقة الفرسان وسندان المشاة) وفجأة وجد المسلمون أنفسهم وقد أحاط بهم العدو بسيوفهم، وداخلهم الرعب، فاختل نظامهم، وأكثر المشركون من قتل المسلمين فاستشهد – في هذه الكرة – " حمزة " سيد الشهداء وطائفة من أصحاب النبي الشجعان ، وفر بعضهم خوفاً ، ولم يبق حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سوى نفر قليل جدا يدافعون عنه ويردون عنه عادية الأعداء، وكان أكثرهم دفاعاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورداً لهجمات العدو، وفداءً بنفسه هو "الإمام علي بن أبي طالب" (عليه السلام) الذي كان يذب عن النبي الطاهر ببسالة منقطعة النظير ، حتى أنه تكسر سيفه فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفه المسمى بذي الفقار، وفي هذه اللحظة قال جبرائيل "إن هذه لهي المواساة يا محمد" فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "إنه مني وأنا منه" فقال جبرائيل: " وأنا منكما" ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جبرائيل بين السماء والأرض وهو يقول : "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي" .

وفي هذه اللحظة صاح صائح : قُتل محمد ، و يذهب بعض المؤرخين إلى أن "عبد الله بن قمئة" الذي قتل الجندي الإسلامي البطل "مصعب بن عمير" وهو يظن أنه النبي ، هو الذي صاح "واللات والعزى :

لقد قُتل محمد" ، وسواءً كانت هذه الشائعة من جانب المسلمين ، أو العدو فإنها – ولا ريب – كانت في صالح الإسلام والمسلمين لأنها جعلت العدو يترك ساحة القتال ويتجه إلى مكة بظنه أن النبي قد قُتل وانتهى الأمر، ولولا ذلك لكان جيش قريش الفاتح الغالب لا يترك المسلمين حتى يأتي على آخرهم لما كانوا يحملونه من غيظ على النبي ، بل ولما كانوا يتركون ساحة القتال حتى يقتلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم لم يجيئوا إلى "أحد" إلا لهذه الغاية ، لم يرد ذلك الجيش بعد تلك الانتصارات أن يبقى ولو لحظة واحدة في ساحة القتال، ولذلك غادرها في نفس الليلة إلى مكة، وقبل أن يندلع لسان الصباح ، إلا أن شائعة مقتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوجدت زلزالاً كبيرا في نفوس بعض المسلمين ، ولذلك فر هؤلاء من ساحة المعركة ، وأما من بقي من المسلمين في الساحة فقد عمدوا – بهدف الحفاظ على البقية من التفرق وإزالة الخوف والرعب عنهم – إلى أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشعب من "أحد" ليطلع المسلمون على وجوده الشريف ويطمئنوا إلى حياته ، وهكذا كان ، فإنهم لما عرفوا رسول الله عاد الفارون واجتمعوا حول الرسول ولامهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على فرارهم في تلك الساعة الخطيرة ، فقالوا يا رسول الله أتانا الخبر بأنك قُتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين ، وهكذا لحقت بالمسلمين – في معركة أحد – خسائر كبيرة في الأموال والنفوس، وقد قُتل من المشركين في هذه الموقعة اثنان وعشرون ، ومن المسلمين اثنان وسبعون في ميدان القتال وعلى رأسهم حمزة سيد الشهداء ، كما جُرح جماعة كبيرة ، ولكنهم أخذوا من هذه الهزيمة والنكسة درساً كبيراً ضمن انتصاراتهم في المعارك القادمة .

****

غزوة بني النضير :

لما أصيب المشركون في بدر ، بلغ ذلك كعب بن الأشرف (من زعامات بني النضير) ، وكبر عليه قتل من قتل في بدر، فبكاهم وهجا النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه ، وسار إلى مكة وحرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على حرب رسول الله ، فلما عاد إلى المدينة بدأ بتدبير مكيدة يقتل بها النبي(صلى الله عليه وآله) ، وقد ظهرت تلك المكيدة عندما قدم النبي (صلى الله عليه وآله) قاصداً كعب بن الأشرف ، فلما دخل عليه ومعه جمع من أصحابه ، قال له كعب : « مرحبا يا أبا القاسم وأهلًا » ، وقام كأنه أن يصنع لهم الطعام ، ثم خلا بعض اليهود إلى بعض ، فتناجوا في ما بينهم ، واتفقوا على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) بطرح حجارة عليه من فوق البيت الذي هو تحته ، فإنه إن قتل تفرق أصحابه ، فقال عمرو بن جحاش : « أنا أظهر على البيت

فأطرح عليه صخرة » ، وقد رفض بعض اليهود ذلك ؛ لعلمهم بصدق نبوة رسول الله قال سلام بن مشكم : « يا قوم ، أطيعوني هذه المرة ، وخالفوني الدهر ، والله ، إن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به ، وإن هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه ، فلا تفعلوا ، ألا فوالله لو فعلتم الذي تريدون ؛ ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة يستأصل اليهود ويظهر دينه ! » ، وغلب على أمر اليهود اتجاه الغدر والتآمر ، فجاء رسول الله الخبر من السماء بما هموا به ، فنهض سريعاً ، وانصرف راجعاً عنهم دون أن يشعرهم بشيء .

حصار بني النضير :

أمر النبي (صلى الله عليه وآله) في تلك الليلة بقتل كعب بن الأشرف ، قبل أن يقوم ضدهم بأي إجراء ، وانتدب لذلك أبا نائلة ، فقُتل في صبيحة تلك الليلة ، ثم أرسل محمد بن مسلمة الأنصاري إلى يهود بني النضير ، ليقول : « إن رسول الله أرسلني إليكم : أن اخرجوا من بلده ، وإما أن تأذنوا بحرب » ، فوافقوا على ذلك ، ومكثوا أياما يتجهزون ، فبينما هم على ذلك إذ جاءهم رسول عبد الله بن أبي بن أبي سلول ، ورفض الخروج ، فانقلبت الأمور ، فأبى حيي بن أخطب إلا محاربة رسول الله ، وأرسل أخاه جدي ابن اخطب ، يقول لرسول الله : « إنا لا نبرح من دارنا وأموالنا ؛ فاصنع ما أنت صانع » وأرسله أيضاً إلى ابن أُبي بتعجيل ما وعد من النصر ، فلما وصل جدي إلى رسول الله وأخبره قرارهم ، أظهر رسول الله التكبير ، وقال : « الله أكبر » ، وكبر المسلمون بتكبيره ، وهكذا ، بدلاً من الخوف والارتباك في الموقف ، والذي كان ينتظره اليهود من المسلمين ، كان التكبير إعلاناً حماسياً لموقف شديد من اليهود ، وبسرعة غير متوقعة ، مما أربكهم وأوقعهم في الحيرة ، وزعزع ثباتهم .

ونادى منادي رسول الله يأمر أصحابه بالمسير إلى بني النضير ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة النبوية ، قبل أحد ، صبيحة قتل كعب بن الأشرف ، وأصبح رسول الله غادياً عليهم بالكتائب ، وكانوا في قرية يقال لها « زهرة » ، فوجدهم ينوحون على كعب ، فقالوا : «يا محمد ، واعية إثر واعية ؟! » ، ثم حشدوا للحرب ، وهكذا ، أصبح بنو النضير وحدهم بعد أن اختار يهود بني قريظة المحافظة على عهدهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد اختار أن يعامل بني النضير كما عامل بني قينقاع ، أي إخراجهم من المدينة ، وقد سلك بذلك طريقاً وسطا ، ولم يكن حاداً في موقفه منهم ، ولكن عندما رفضوا الخروج سلماً اضطر إلى الضغط عليهم عسكرياً من أجل تنفيذ ذلك ، وقد سار إليهم بعد العصر ، وكانت الراية بيد الامام علي (عليه السلام) ، مما زاد في رعب اليهود وزرع الخوف في نفوسهم ، واستمر حصار بني النضير واحداً وعشرين يوماً ، وقرر رسول الله ، بعد أن أبوا النزول على شروطه ، تشديد الحصار عليهم ، وحاصرهم

خمسة عشر يوماً ، ومرة أخرى انتصرت إرادة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) ، وفشل اليهود ، فاقترحوا على خاتم النبيين الحل الذي كان هو قد طرحه عليهم أولاً ورفضوه ، وقالوا : « كما كنت تريد ، نخرج ولنا ما حملت الإبل » ، وهنا ، رفض رسول الله القبول بما كان هو قد طرحه أولاً ، لأن الموازين قد تغيرت ، فهم خسروا جولة جديدة ، وعليهم أن يتنازلوا بما يساوي هذه الخسارة الجديدة ، فكان الاقتراح بأن يحملوا النساء والصبيان فقط ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وغير ذلك .

النتائج :

خرج بنو النضير من المدينة المنورة ، من دون قتال ، فإن أرض بني النضير لم تفتح عنوةً بالعمل الحربي المعروف ، فأفاء الله أراضيهم على رسوله ، وسوغه أموالهم ، فأصبحت خاصة برسول الله يضعها كيف يشاء كما أراد الله تعالى ، فجمع رسول الله الأنصار ، واقترح عليهم أن يعطي المهاجرين ما غنمه من بني النضير ، فيخرج المهاجرون من مساكنهم وأموالهم ، فقبل الأنصار بذلك ، وقسم تلك الغنائم بين المهاجرين ، وأعطى ثلاثة من الأنصار فقط لفقرهم .

****

غزوة ذات الرقاع :

هي غزوة قام بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الرابعة للهجرة ضد بني ثعلبة وبني محارب من غطفان في نجد بعد أن بلغه انهم يعدون العدة لغزو المدينة فخرج إليهم في أربعمائة من المسلمين، وقيل في سبعمائة ، واستخلف على المدينة أبو ذر الغفاري ، وعامة أهل المغازي يذكرون هذه الغزوة في السنة الرابعة .

دخل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بجيشه من المدينة ، واتضحت منذ البداية الصعوبات التي تنتظرهم ، فهناك نقصٌ شديد في عدد الرواحل ، حتى إن الستّة والسبعة من الرجال كانوا يتوالون على ركوب البعير.

ومما زاد الأمر سوءاً وعورة الأرض وكثرة أحجارها الحادّة، التي أثّرت على أقدامهم حتى تمزّقت خفافهم ، وسقطت أظفارهم، فقاموا بلفّ الخِرَق والجلود على الأرجل ؛ ومن هنا جاءت تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم، وقيل ايضاً سُميت غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ويقال ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها : ذات الرقاع " .

سار النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) متوغلاً في بلادهم حتى وصل إلى موضع يقال له نَخْل، ولقي جمعاً من غطفان، إلا أنه صلّى بالصحابة صلاة الخوف لأول مرة في الإسلام ، فلما علمت قبائل غطفان بقدوم المسلمين انسحبت فلم يقع قتال ، وعاد المسلمون منتصرين .

****

معركة الأحزاب (الخندق) :

إن الخطوات السياسية والاجتماعية التي اتخذها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند وصوله إلى المدينة المنورة ، والتي كانت تهدف إلى بناء مجتمع مترابط داخلها ، أثرت بشكل كامل على الوجود اليهودي في المدينة ، فبعد الخيانة التي قام بها بنو القينقاع وبنو النضير ، وقيام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمحاسبتهم على هذه الخيانة ، تم إجلاؤهم عن المدينة المنورة ، وقد أثر ذلك بشكل واضح على مستقبل اليهود في شبه الجزيرة العربية ، ومع هذا حاول اليهود توجيه الأذية للمسلمين ، وإن كانت بطريقة غير مباشرة .. لذا اتصلوا بقريش والقبائل العربية الأخرى ؛ محاولين تشجيعهم على قتال الإسلام ، وقد نجحوا في ذلك ، فقام الآلاف من المقاتلين المشركين لقتال الإسلام ، وكانت معركة الخندق التي منعت اليهود والمشركين معا من تحقيق الأهداف المرجوة .

كانت معركة الخندق بعد غزوة بني النظير في شوال سنة خمس للهجرة ، والمشهور ان هذه المعركة كانت في ذي القعدة أواخر السنة الرابعة للهجرة ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، والمشركون ثمانية عشر ألفاً ، وكان من خبر هذه الغزوة ان جماعة من اليهود منهم حي بن اخطب وكنانة بن الربيع وهوذة بن قيس خرجوا حتى قدموا مكة فصاروا إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكروا له ما نالهم منه وسألوه المعونة لهم ، فقال لهم أبو سفيان : انا لكم حيثما تحبون فاخرجوا إلى قريش وادعوهم إلى حرب محمد ، فطاف معهم على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا لهم : أيدينا مع أيديكم ونحن معكم حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الأول والعلم السابق وقد عرفتم الدين الذي جاء به محمد وما نحن عليه من الدين فديننا خير من دينه أم هو أولى منا فقالوا لهم : بل دينكم خير من دينه ، فنشطت قريش لما دعوهم من حرب رسول الله وجاءهم أبو سفيان فقال لهم : قد مكنكم الله من محمد وهذه اليهود تقاتل معكم ، فقويت عزائمهم ، ثم خرج اليهود حتى جاؤوا غطفان وقيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله (ص) وضمنوا لهم النصرة والمعونة وأخبروهم باتباع قريش لهم على ذلك فأجمعوا معهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصين في بني فزارة ، والحارث بن عوف في بني مرة ،

ووبرة بن طريف في قومه من أشجع ، واجتمعت قريش معهم .

الرسول (ص) يستشير أصحابه :

لما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باجتماع الأحزاب عليه وقوة عزيمتهم في حربه استشار أصحابه فاجتمع رأيهم على البقاء بالمدينة وحرب القوم إذا جاؤوا إليهم على أنقابها وأشار سلمان الفارسي على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخندق بقوله : « يا رسول الله ، إنا إذ كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا !، فهل لك ، يا رسول الله ، أن نخندق ؟ » ، وقد لاقت الفكرة اعجاباً لدى المسلمين ، فأمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بحفره وعمل فيه بيده وعمل فيه المسلمون ، وقد بلغ طول الخندق نحو خمسة آلاف ذراع (الفين وخمسمئة متر تقريباً) وكان عرضه تسعة أذرع (أربعة أمتار ونصف تقريباً) وعمقه سبعة أذرع (ثلاثة امتار ونصف تقريباً) ، واستغرقت مدة حفره اربع وعشرين يوماً ، فأقبلت الأحزاب فهال المسلمون أمرهم وارتاعوا من كثرتهم فجمعهم فنزلوا ناحية من الخندق وأقاموا بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة ولم يكن بينهم إلا الرمي والنبل والحصى ، ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسلمين يدعوهم إلى الجهاد ويشجعهم ويعدهم النصر من الله .

خيارات جيش الأحزاب :

بعد أن شاع بين صفوف المشركين خبر الإجراء الدفاعي الذي نفذه المسلمون بحفر الخندق ، تلاشت فكرة خوض معركة حاسمة سريعة ضد المسلمين ، إلا أن رؤساء الكفر والشرك ابتدأوا في جو من الشعور بالتفوق يحاولون إعادة الإمساك بزمام المبادرة ، فقد اعتقدوا أن الحصار الذي أحكموه على المدينة قد جمد أوصال المسلمين ، وقطع مددهم ، فأخذت خطتهم العسكرية بالضغط على المسلمين تتضح ملامحها عبر ثلاثة محاور :

المحور الأول : محاولة الاستفادة من الحالة اليهودية في داخل المدينة ، وكان العائق أمامهم هو العهد الذي وقعه اليهود مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والذي كان يقضي بعدم مد يد العون إلى أعداء المسلمين ، فكانت خطة رؤوس الشرك والكفر تقوم على حمل يهود بني قريظة على نقض هذا العهد .

المحور الثاني : محاولة فتح ثغرة في الخندق يعبر منها المقاتلون ، ويندفعون منها إلى قلب المدينة مستفيدين من تفوقهم العسكري ، ومسقطين للخط الدفاعي الأساسي الذي اعتمده المسلمون .

المحور الثالث : الاعتماد على طول الحصار ، وتضييق الخناق على المدينة ، والمراهنة على عناصر الشقاق والجوع والخوف في إحداث زلزال في صفوف المدافعين قد يؤدي إلى انهيارهم .

بعد مضي شهر كامل تقريباً على الحصار ، لم يبق أمام المشركين إلا خوض مغامرة عسكرية ، فانتدبت فوارس من قريش للبراز منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس بن عامر بن لوي بن غالب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة ابن أبي وهب وضرار بن الخطاب ومرداس الفهري فلبسوا لباس الحرب ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيئوا يا بني كنانة للحرب ثم أقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما تأملوه قالوا : هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق وفيه ضيق فضربوا خيلهم فاقتحمه فجاءت بهم بين الخندق وسلع ، وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " ع " في نفر معه من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها فتقدم عمرو بن عبد ود والجماعة الذين معه ، وجعل عمرو بن عبد ود يدعو إلى البراز ويعرض المسلمين خوفا منه فلما رأى ذلك منهم ركز رمحه في الأرض وأقبل يجول في الميدان كالجبل وهو يقول : هل من مبارز ؟ هل من مبارز ؟ لا يأتيني منكم كسلان ولا عاجز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لهذا ؟ فلم يجبه أحد من الناس ، وفي البحار : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مرات : أيكم يبرز إلى عمرو اضمن له على الله الجنة وفي كل كان يقوم علي " ع " والقوم ناكسو رؤوسهم . وفي تفسير علي بن إبراهيم : فوثب إليه أمير المؤمنين " ع " فقال : انا له يا رسول الله ، فقال يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس يلملم ، فقال " ع " وأنا علي بن أبي طالب ، فقال له رسول الله : ادن مني فدنى منه ، فعممه بيده ودفع إليه ذا الفقار وقال اذهب وقاتل بهذا وقال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، فقال عمرو : من أنت ؟ قال " ع " : أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ، فقال والله ان أباك كان لي صديقا واني أكره أن أقتلك ما خشى عليك ابن عمك حين بعثك إلي ان اختطفتك برمحي هذا فأتركك بين السماء والأرض لا حي ولا ميت فقال أمير المؤمنين " ع " : قد علم ابن عمي انك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة ، فقال عمرو : كلتاهما لك يا علي إذا قسمة ضيزى فقال له عليه السلام : دع عنك هذا يا عمرو اني سمعتك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول : لا يعرض علي أحد بثلاثة خصال إلا أجبته إلى واحدة منها وانا اعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة منها ، فقال هات يا علي قال " ع " الأولى : ان تشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال نح عني هذا ، قال فالثانية : أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله فان يك صادقا فأنتم أعلى به عينا وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمره فقال إذا تحدث نساء العرب بذلك وتنشد الشعراء بأشعارها اني جبنت عن الحرب ورجعت على عقبي وخذلت قوما رأسوني عليهم فقال له أمير المؤمنين " ع " فالثالثة : ان تنزل إلي فإنك راكب وأنا راجل حتى أنابذك ، فوثب عن فرسه وعقره ، ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين بالسيف على رأسه فاتقاه أمير المؤمنين ، ثم ضربه أمير

المؤمنين على ساقيه فقطعهما جميعا وارتفعت بينهما عجاجة ، فقال المنافقون قُتل علي بن أبي طالب ثم انكشفت العجاجة وإذا أمير المؤمنين " ع " على صدر عمرو آخذا بلحيته يحز رأسه فلما ذبحه أخذ برأسه واقبل إلى رسول الله والدماء على رأسه من ضربة عمرو وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول :

أنا علي وابن عبد المطلب * الموت خير للفتى من الهرب ، وفي البحار : فلما برز أمير المؤمنين إلى عمرو قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برز الايمان كله إلى الشرك كله ، فتلقاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل يمسح الغبار عن عينيه وقال يا علي لو وزن عملك بعمل جميع أمة محمد لرجح عملك وذلك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا ودخله ذل بقتل عمرو ولم يبق بيت من المسلمين إلا ودخله عز بقتل عمرو .

نهاية جيش الاحزاب :

وفي ليلة السبت ، قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي ، وكان ذلك في برد شديد ، فأرسل الله تعالى ملائكة وريحاً صرصراً عاتية على الأحزاب ، فهتكت القباب ، وقلعت خيم المشركين ، وكفأت القدور وأطفأت النيران ، وقلعت الأوتاد ، حتى لا يقر لهم قدر ولا بناء ، وأرسل عليهم ظلمة دامسة وجالت خيل المشركين بعضها على بعض ، فانطلقوا هاربين ، ورأوا أن لا خلاص لهم إلا بالفرار .

****

غزوة بني قريظة :

كان السبب الرئيس لغزو بني قريظة هو نقضهم للعهود والمواثيق التي أُبرمَت بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول دخوله المدينة المنورة حيث كان قد كتب كتاباً واشترط عليهم أن لا يظاهروا عدوّه وأن ينصروه على من داهمه ، أو ألّا يكونوا معه ولا عليه وإلّا فالنبي في حِلّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم .

لقد صرّحت بعض المصادر أن اليهود من بني النضير وقريظة كانت قد حاربت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنّ النبي أجلى بني النضير من المدينة وأقرّ بني قريظة ومنَّ عليهم حتى حاربت المسلمين وقامت بمساندة قريش في حرب الخندق .

صرّحت المصادر أن حيي بن أخطب وهو من يهود بني النضير، كان قد توجه إلى بني قريظة من قِبَل قريش طلباً من ابي سفيان "لنقض العهد" الذي كان بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

والحصول على موافقة القبيلة في مساندة قريش في الحرب على المسلمين، كما أن بعض المصادر أشارت إلى تمزيق حيي بن أخطب لعهد بني قريظة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خبر بني قريظة اثناء حرب الخندق ، فأرسل نفراً من صحابته بينهم سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة وأسيد بن حُضير إلى قلاع بني قريظة ليتحققوا من ذلك، فوجدوهم قد نقضوا العهد ، فناشدوا بني قريظة أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه .

ولما انتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بني قريظة للعهد ، اشتدّ الخوف وعظُم البلاء على المسلمين إذ كان للخبر تأثيره السلبي على معنويات المسلمين نظراً للمكانة الجغرافية لقلاع بني قريظة ، حيث كان باستطاعتهم الهجوم على المسلمين من خلفهم أثناء انشغالهم بمحاربة المشركين .

أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة إثر خبر بني قريظة وعزمهم على مباغتة المسلمين مائتي مقاتل يكبّرون حتى الصباح، حتى زال خطرهم بنهاية الظلام ، م قام المسلمون بنقل النساء والصبيان إلى مواقع آمنة وخندقوا حولهم يتعاهدونهم خوفاً عليهم من بني قريظة .

توجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني قريظة في اليوم الذي تفرّق فيه الأحزاب وانهزم فيه قريش ، وكان النبي (ص) قد دفع الراية في غزوة بني قريظة لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) وهي لم تُحلّ منذ رجوعهم من غزوة الخندق .

حصار بني قريظة :

انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني قريظة وكان علي بن أبي طالب (ع) قد سبق في نفر من المهاجرين والانصار وغرز الراية عند أصل الحصن ، فأيقنت بنو قريظة بالشرّ، واستقبلوا المسلمين في حصونهم هذه المرة يشتمون رسول الله .

لزم المسلمون حصون بني قريظة يرمونهم بالنبل والحجارة وأحاطوا بهم من كل ناحية لمدة تتراوح بين شهر (خمس وعشرون يوماً) حتّى اجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

انتصار الإمام علي (عليه السلام) على جيش بني قريظة :

قرّر اليهود الحرب وعدم التسليم واستمرّوا مع رئيسهم كعب بن أسد في سبّ النبي (صلى الله عليه وآله)، فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الجيوش الإسلامية إليهم بقيادة أكابر الصحابة ففرّوا، فاستعان النبي (صلى الله عليه وآله) ببطل المسلمين الإمام علي (عليه السلام) ، فجاءهم وحاربهم وانتصر عليهم

انتصاراً ساحقاً فقتل بعضهم وأسر الآخرين وأنزلهم على حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم ، بعد خمس وعشرين ليلة من الحصار والحرب .

وقد غيَّر الطغاة سيرة معركة بني قريظة اعتداءً منهم على الإسلام والمسلمين ، فقالوا بنزول اليهود من حصونهم دون حرب ، وإقدام المسلمين على قتلهم ، في حين أثبتت الروايات الصحيحة استسلامهم أثر الهزيمة التي حلّت بساحتهم .

****

غزوة بني المصطلق :

وهي المعروفة بغزوة المريسيع ، وكانت بعد معركة الخندق وغزوة بني قريظة ، في شعبان في السنة السادسة للهجرة ، وهي ماء لبني خزاعة ، وتسمى هذه الغزوة ايضاً بغزوة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة .

وكان سببها أن بني المصطلق كانوا ينزلون على بئر يقال لها المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار قد دعا قومه ، ومن قدر عليه من العرب ، إلى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له فأجابوه ، وتجمعوا ، وابتاعوا خيلا وسلاحاً للحرب ، والمسير معه ، فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الخبر ، فأرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي ليتحقق من ذلك ، فأتاهم ، ولقي الحارث ، وكلمه ، مظهراً أنه منهم ، وقد سمع بجمعهم ، ويريد الانضمام بقومه ومن أطاعه إليهم ، وعرف منهم صدق ما بلغهم عنهم ، فرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره بأنهم يريدون الحرب ، لما أخبر بريدة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بصحة ما بلغه ، دعا (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس فأسرعوا الخروج ، وخرج معه سبعمئة ، وخرجت معهم زوجتاه ، عائشة وأم سلمة ، واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري ، وجعل راية المهاجرين مع عمار بن ياسر ، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة ، أما لواء الجيش ورايته فقد كانا مع الإمام علي (عليه السلام) ، حيث كان صاحب لواء وراية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المواطن كلها ، باستثناء غزوة تبوك .

المعركة والقتال :

سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باتجاه بني المصطلق ، وبلغ الحارث مسير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم ، وبلغه أيضاً قتل عينه الذي كان يأتيه بأخبار المسلمين ، فسيء بذلك

هو ومن معه وخافوا خوفاً شديداً ، وتفرق الأعراب الذين كانوا معه فما بقي أحد سواهم ، وانتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المريسيع ، وتهيؤوا للقتال ، وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه ، وأمره أن يُقال لهم : « قولوا : لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا » ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه فحملوا عليهم حملة واحدة ، قتل منهم عشرة ، قتل الإمام علي (عليه السلام) منهم رجلين ، وقُتل أبو قتادة صاحب لواء المشركين ، وقُتل في المعركة زعيم بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار ، وأسر الباقون ، ولم يفلت منهم أحد ، وكان الفتح ولم يُقتل من المسلمين سوى رجل واحد ، ورجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة .

****

قصة الافك :

الإفك لغةً : بمعنى صد الناس عن الحق بالكذب والباطل ، وبهذا الاعتبار يطلق على الكذب إفك ، لانصرافه عن الحقّ والواقع ، وقد وردت هذه الحادثة في القرآن الكريم في سورة النور ، الآيات ١١ – ٢٦ ، بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ...﴾ ،واختلفت آراء المفسرين فيمن نزلت فيها هذه الآيات ومن هي المرأة المقصودة بهذه الحادثة .

ذهب أغلب مفسري الشيعة ، أنّ سبب نزول آيات الإفك هو الدفاع عن مارية القبطية آخر زوجات

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مقابل التهمة التي وجهتها لها عائشة ، أما مفسري أهل السنة ذهبوا إلى أنها نزلت في عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذلك بعدما اتهمها بعض المنافقين ، وقد وقعت حادثة الإفك التي ذكرها القرآن الكريم بعد غزوة بني المصطلق في سنة ٦ هـ ، أثناء عودة المسلمين إلى المدينة المنورة .

وكان بعض المنافقين ، أو الذين في قلوبهم مرض يساهمون في إذاعة ذلك حُبّاً منهم لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، فأنزل اللّه تعالى الآيات العديدة المذكورة في سورة النور ، ودافع عن نبيّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) .

مناقشة الحادثة :

ما يميل له الباحث أن حفصة وعائشة ولفيفاً قليلاً اتهمنَّ مارية زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) وأم ولده إبراهيم ، اتهمتاها بالزنا من قريب لها اسمه مأبور وقيل جريح (أهداه المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع مارية بنت شمعون وقيل هو أخوها وكان شيخ كبير) ، وأن ولده إبراهيم (عليه السلام) هو ولد مأبور ، بدليل ما ذكره القمي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ... ﴾ أنها نزلت في مارية القبطية ، وما رمتها به عائشة ، فعن زرارة قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : " لما هلك إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حزن عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حزناً شديداً ، فقالت عائشة ما الذي يُحزنك عليه فما هو إلا ابن جريح فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) وأمره بقتله ، فذهب (عليه السلام) إليه ومعه السيف ، وكان جريح القبطي في حائط فضرب علي (عليه السلام) باب البستان فأقبل إليه جريح ليفتح له الباب ، فلما رأى علياً عرف في وجهه الشر فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب ، فوثب علي على الحائط ونزل إلى البستان وأتبعه وولى جريح مدبراً ، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي (عليه السلام) في أثره ، فلما دنا منه رمى جريح بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته ، فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء ، فانصرف علي (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله إذا بعثتني في الامر أكون فيه كالمسمار المحمى أم أثبت ؟ قال : لا بل أثبت قال : والذي بعثك بالحق ماله ما للرجال وماله ما للنساء ، فقال : الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت ، مع تحفظنا على ما ذُكر أخيراً من أن علياً (عليه السلام) بعد أن عرف أن جريحاً مجبوب عاد إلى النبي وسأله إن كان تكليفه التثبت أم لا مع أن الصحيح والمناسب هو أن علياً (عليه السلام) سأل هذا السؤال قبل أن يذهب إلى جريح ، أما بالنسبة لنظر علي (عليه السلام) إلى عورة جريح فلعله وقع إتفاقاً كما في الرواية ، ولعله إنما جوز لنفسه النظر إلى موضع القدرة لعلمه مسبقاً بأنه مجبوب ، وكان يعرف غاية وموجبات وأهداف هذا الأمر الصادر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلعلَّه (صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم) إنّما بعث عليّاً (عليه السّلام) إلى جريح ليُظهر الحقّ ويصرف السوء وكان قد علم أنّه لا يقتله ولم يكن يأمر بقتله بمجرّد قول عائشة ، فعن عبد الله بن بكير ، قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : " جعلت فداك ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بقتل القبطي ، وقد علم أنها كذبت عليه ؟ أو لم يعلم ؟ وقد دفع الله عن القبطي القتل بتثبيت علي (عليه السلام) ؟ فقال : بل كان والله يعلم ، ولو كان عزيمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما انصرف علي (عليه السلام) حتى يقتله ، ولكن إنما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لترجع عن ذنبها ، فما رجعت ، ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها " .

وقد ثبتت لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) براءة مارية وجريح من هذا الإتهام ، ونزلت الآيات

المذكورة ، واللّه العالم .

****

صلح الحديبية :

في السنة السادسة للهجرة ، شرع خاتم النبيين (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في تنفيذ خطته الإستراتيجية لإحداث انقلاب في موازين القوى استعداداً لشن الهجوم العام على القاعدة الأساس للشرك في الجزيرة العربية وعاصمة الوثنية في مكة ، وهذه هي الخطوة الخامسة في خطته .

وكانت مراحل هذه الخطة هي : تجميد قريش أولاً ، وقلب موازين القوى لمصلحة الإسلام ثانياً ، ثم شن الهجوم العام على الشرك ثالثاً واستئصاله نهائياً من جزيرة العرب رابعاً .

وكان من أهم الوسائل المساعدة على ذلك إحراج قريش بقضية أداء مناسك الحج فقريش لا يمكن لها أن تمنع أحداً من ممارسة مناسك الحج ، فهي المدافعة عن ذلك ، وهي التي ترعى شؤون الحجيج في كل سنة ، وبهذه الوسيلة يمكن لرسول الله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يحرج قريشاً ؛ فإما أن تسمح له مباشرةً بدخول الكعبة حاجاً ، وإما أن تضطر للتفاوض معه خوفاً من وقوع الحرب بين الطرفين ، وبهذه الخطوة ، استطاع رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يجر قريشاً إلى الصلح وإعلان الهدنة بين الطرفين .

رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرؤيا أنه دخل البيت الحرام وحلق رأسه ووقف في عرفات ، وقد صدّق الله تعالى رؤيا نبيه بقوله : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ ، فخرج (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من المدينة يوم الاثنين في شهر ذي القعدة ، وكان المسلمون ألفاً وأربعمئة ، أعلن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه سيذهب إلى مكة معتمراً لا غازياً ولا محارباً ، وترك عيون قريش وجواسيسها ينقلون إليها نيته المعلنة .

وأعطى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لواءه لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وخرج معه المسلمون ، وساق الهدي معه ، حتى وصلوا إلى ذي الحليفة (وهو ميقات أهل المدينة الذي يحرمون منه لأداء مناسك الحج) ، وإنما ساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ؛ ليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً للبيت ومعظماً له ، فيأمن الناس من حربه .

وكان في طريقه يستنفر العرب ، ومن حوله من أهل البوادي ومن الأعراب في ما بين المدينة إلى مكة ، ودعا رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بشر بن سفيان الكعبي ليستطلع له خبر قريش .

اعترضت قريش وزعمائها ورفضت قبول هذا الامر ، ولكن الاحداث المتسارعة أجبرتهم على الإنصات والاستماع للرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) والتخلي عن موقفهم المتشدد بقتال المسلمين المتوجهين لأداء العمرة ، ورأوا ان من الخير لهم ان يصالحوا الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ، وبعثوا سهيل بن عمرو وآخرين لعقد الاتفاق .

كتابة معاهدة الصلح :

دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي (عليه السلام) ، فقال له رسول الله : اكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أما الرحمن فوا لله ما أدري ما هو : ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال المسلمون والله لا نكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : اكتب باسمك اللهم ، هذا ما قاضي عليه رسول الله ، فقال سهيل : لو كنا نعلم أنك لرسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : إني لرسول الله ، وإن كذبتموني ، ثم قال لعلي (عليه السلام) امح رسول الله ، فقال : يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة ، فأخذه رسول الله فمحاه ، ثم قال أكتب : (هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو ...) .

بنود الصلح :

١. وضع الحرب بينهم عشر سنين .

٢. إن محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه فلا يدخل عليهم مكة ، فإذا كان العام القادم خرجوا عنها فدخلها بأصحابه ؛ فيقيم فيها ثلاثة أيام من دون سلاح ، وأن ترفع الأصنام .

٣. من أتى محمداً من قريش من دون إذن وليه وإن كان على دينه رده إليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه .

٤. لا يستكره أحد على ترك دينه ، وأن يكون الإسلام ظاهراً في مكة ، وأن لا يؤذى أحد ولا يُعير .

٥. من أحب من المشركين أن يدخل في عهد محمد كان له ذلك ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه .

نتائج صلح الحديبية :

١. لقد فتح هذا الصلح الباب على مصراعيه لنشر الدعوة الإسلامية بين العرب وغيرهم ، بالإضافة إلى سماحه بعقد التحالفات والاتفاقيات مع أي جهة كانت ، وروي عن أهل البيت (عليهم السلام) : « فما انقضت تلك المدة (وهي سنتا الهدنة) حتى كاد الإسلام يستولي على أهل مكة » .

٢. إن تحديد مدة الصلح بعشر سنين غير ملزم مطلقاً ، فلو أن قريشا أخلت بالاتفاق ، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سوف يكون بحل منه ، ويحق له التصرف بما يريد .

٣. لم يكن رجوع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا العام على أن يعود العام المقبل بنداً سلبياً ؛ لأن العمرة سبب للمصالحة وطريق إليها ، وهي اعتراف من قريش بأحقية المسلمين بممارسة شعائرهم الدينية كغيرهم من العرب .

٤. إن حرية الرجوع إلى دين قريش فيه مصلحة الإسلام ، فهو يفتح المجال لرجوع المنافقين ، وفي المقابل بقاء المسلمين في مكة يعني بداية ظهور الإسلام فيها تمهيداً لفتحها .

٥ . إن وضع الحرب سوف يتيح للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الفرصة لتصفية الوجود اليهودي في الجزيرة .

٦ . أعطى الصلح فرصة لانضمام خزاعة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا يشكل اختراقاً لقريش .

المعترضين على الصلح :

ذكرت مصادر التاريخ أنه بعد أن اتفقوا على الصلح ذهب عمر بن الخطاب لأبي بكر معترضاً على عقد الصلح وقال له : علامَ نُعطي الدنية (أي النقيصة) في ديننا ؟! وذهب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلمّه بنفس الكلام ، فأجابه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يُضيعني ، وروي أيضاً عن أبي سعيد الخدري أنه جلس مع عمر بن الخطاب فذكر القضية ، فقال عمر: لقد دخلني يومئذ من الشك ، وراجعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ مراجعة ما راجعته مثلها قط .

****

غزوة خيبر :

وعد الله عز وجل رسوله بدخول خيبر وهو بالحديبية ، عندما نزلت عليه سورة الفتح ، وبعد أن أمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جانب قريش ، تفرغ لحرب يهود خيبر الذين جهزوا جيش الأحزاب ضده ، واستمروا في حربه منذ وصوله إلى المدينة ، وكانوا قد سكنوا خيبر ، وبنوا فيها سبع قلاع ، وثمانية حصون قوية ، وكانت التربة والمناخ في تلك المنطقة قد جعلت منها مكاناً صالحاً للزراعة ، وحصل سكانها على مهارة كبرى في أمور الزراعة ، وتهيئة وسائل الدفاع والقتال وإعداد السلاح ، وكانوا لا يظنون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يغزوهم لمنعتهم ، وحصونهم ، وسلاحهم ، وعددهم.

التوجه لفتح خيبر :

توجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حرب اليهود في خيبر آخر مركز من مراكز اليهود في الجزيرة العربية في محرم سنة ٧ هـ ، وأمر أصحابه بالخروج فجدوا في ذلك ، واستنفروا من حوله ممن شهد الحديبية ، يغزون معه ، وانتشر الخبر بين الناس ، فجاء المخلفون من الأعراب ؛ ممن تخلف عن الذهاب معه إلى الحديبية ، للانضمام إليه في غزو خيبر رجاء الغنيمة ، ولمنعهم من ممارسة هذا العمل ، قرر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرمانهم ، وتخصيص أهل الحديبية بالغنائم ، حتى يشعر هؤلاء بالعزة والكرامة ، ويشعر المتخلفون بالخزي والذنب .

واستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي ، ودفع لواءه إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأمره بالتوجه إلى خيبر .

وأرسل عبد الله بن أبي بن أبي سلول ، شيخ المنافقين في المدينة ، إلى اليهود يخبرهم بخروج المسلمين إليهم ، فلما علموا بذلك أرسلوا وفداً إلى غطفان يطلبون العون منهم .

التحرك العسكري لجيش المسلمين :

خرج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى خيبر ما يقرب من ألف وستمئة مقاتل ، وسار الجيش الإسلامي في صدور الأودية ، حتى يتحاشى الظهور على قمم الجبال ، وعلى جوانبها التي تظهر لعيون خيبر ، وجاءهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بجيشه من جهة الشمال الشرقي ، فقطع الطريق بينهم وبين الشام ، وهي الجهة التي يمكن مباغتة خيبر منها ، وقطع الإمداد من جهة غطفان ؛ لأن اليهود كانوا يتوقعون الغزو من جهة الجنوب ، فكانت عيونهم ومراصدهم تكثف سهرها

هناك ، وأما جهة الشمال ، أي جهة الشام ، فقد كانت آمنة بنظرهم ، ولا تحتاج إلى الرصد والمراقبة .

وحاول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يثني غطفان عن الوقوف إلى جانب اليهود ، فأرسل إليهم أن لا يعينوهم على أن يعطيهم من خيبر شيئاً ، إلا أنهم جمعوا لهم أربعة آلاف مقاتل ، ثم خرجوا ليعاونوا اليهود عليه ، فسار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في طريق يصل إلى مساكن غطفان .

وعندما نزل الجيش الإسلامي بالرجيع (مورد ماء) ، ارتفعت الأصوات والصياح في مساكن غطفان ، فخافت هذه القبيلة وفضلت أولادها ونساءها على تمر خيبر ، وخلوا بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين خيبر .

وكانت خيبر تنقسم إلى ثلاثة محاور : محور حصون النطاة ، ومحور حصون الشق ، ومحور حصون الكتيبة بما في كل حصن من بروج ، وكانت مشيدة بحيث يسيطر سكانها على خارج الحصن سيطرة كاملة ، عن طريق المجانيق ، وغيرها من آلات الرمي .

كان القرار النبوي أن يفتح المسلمون خيبر حصناً حصناً ، ولهذا فإن أول عمل قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه في هذا السبيل هو احتلال كل النقاط والطرق الهامة ليلاً ، وتقطيع أوصال خيبر ومنع اليهود من التواصل في ما بينهم ، وقد تم هذا العمل بسرعة ؛ لأن أخبار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عميت عليهم ، والمستفاد من المصادر التاريخية هو أن المسلمين حاصروا القلاع والحصون حصنا تلو حصن ، وحاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون الأخرى ، ولقد تم فتح هذه الحصون ببطء ؛ لأنها كانت مرتبطة ببعضها بعضاً ارتباطا وثيقاً ، وكان آخر حصونهم القموص ، وقد حاصره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاكثر من عشرين ليلة ، وخلال ذلك الحصار ، كان المسلمون قد أحرقوا الحصن ، وقد تصاعد منه الدخان الكثيف بسبب الأخشاب ، فأصيب الإمام علي (عليه السلام) برمد في عينيه ، ولم يتمكن المسلمون أيضاً من مواصلة القتال ، وعجزوا عن مقاومة اليهود ، وخصوصا مرحب ، فالتجأوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشكوا ذلك إليه ، وسألوه أن يخرج علياً (عليه السلام) لمرحب .

وقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فوعظ الناس ، ثم دعا باللواء وقال : « لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله » فاستشرف لها من استشرف ، فدعا رسول الله علياً (عليه السلام) ، وقال : «أين علي ؟ ! » ، فقالوا : « يشتكي عينيه » ، قال : « فأرسلوا إليه ! أرونيه ، تروني رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » ، فلما جاء (عليه السلام) قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« ما لك ؟ قال : « رمدتُ حتى لا أبصر ما أمامي » ، قال : « ادن مني » ، فوضع علي (ع) رأسه عند حجره ، وبزق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في آلية يده ، فدلك بها عيني علي (عليه السلام) ، فبرئ وعوفي من ساعته ، ثم ألبسه درعه الحديد ، وشد ذا الفقار في وسطه ، ثم أعطاه الراية ، فخرج علي (عليه السلام) وهو يهرول هرولة ، والمسلمون خلفه ، حتى ركزها تحت الحصن عند الباب ، فأطلع يهودي من رأس الحصن ، فقال : « من أنت ؟ » ، قال : « أنا علي بن أبي طالب » ، فقال اليهودي : « غلبتهم ، والذي أنزل التوراة على موسى » ، فتقدم إلى علي (عليه السلام) الحارث أبو زينب ، أخو مرحب ، في كتيبة من رجاله ، فقتله وفرقهم ، وغضب مرحب لمقتل أخيه ، وخرج سريعاً من الحصن ، فخرج إليه الإمام علي (عليه السلام) ، فجعلا يقتتلان ، ثم حمل عليه علي (عليه السلام) فبدره بضربة على هامته ، فلقت رأسه ، فانهزم اليهود بين يديه ، يقولون : قُتل مرحب ، ولجأوا إلى الحصن ، وكان هناك خندق ، لم يستطع المسلمون عبوره ، وكان باب الحصن حجراً منقوراً في صخر ، فتقدم الإمام علي (عليه السلام) الى الباب واقتلعه وجعلهُ قنطرة على الخندق حتى دخل المسلمون الحصن ، وبعث الإمام علي (عليه السلام) رجلاً يبشر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنصر على اليهود .

****

غزوة مؤتة :

عندما هاجر النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة المنورة أسس دولة الإسلام المباركة ، ولعلها الدولة الوحيدة الموجودة في الجزيرة العربية آنذاك من حيث القيادة والتنظيم، وفي الوقت عينه كانت المنطقة المجاورة لها تعيش صراعاً كبيراً للسيطرة عليها من قبل دولتين عظمتين ، وهما: دولتا الروم وفارس، وكانت بينهما عدة من الوقائع ، وحدث أن انتصر الروم على دولة فارس في بلاد الشام ، وعلى إثر ذلك تزايدت رغبة الروم في غزو مدينة النبي (صلى الله عليه وآله) وإيقاف المد الإسلامي والحد من انتشاره في المنطقة وخارجها ، وهذا واضح من خلال قتلهم لرُسل النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد نشبت بين المسلمين وبين الروم عدة من المعارك منها : غزوة دومة الجندل سنة ٥ هـ التي انتهت بانتصار المسلمين ، وتقع دومة الجندل على خمس ليال من دمشق ، وهي من أعمال الشام ، وكذا المعركة التي قادتها سرية من المسلمين قصدت منطقة (ذات اطلاح) وهي في البلقاء من الأردن .

ولم يكن هذا الأمر خافياً على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، لذا كان(صلى الله عليه وآله)

يراقب تحركات دولة الروم، وعلى إثر ذلك قام (صلى الله عليه وآله) بخطوة عظيمة يوصل من خلالها رسالة مهمة إلى دولة الروم بأنه على استعداد للمواجه ويمتلك جيشاً قادراً على تحمل الصعاب وتحدي جيش الروم وقتالهم على أبواب القدس، تمثلت هذه الرسالة بإرساله جيشاً مكوناً من ٣ آلاف شخص ، يقطع تلك المسافات الطويلة، ويغزو الروم في عقر دارهم ، ولما كانت هذه الغزوة تُمثل إثبات القوة النوعية للمسلمين ، لذا فقد اختار(صلى الله عليه وآله) الصحابي جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) الطيار ذا الجناحين قائدا لهذه الغزوة ، وهو ممن عُرف بالشجاعة والبسالة وممن تربّع بجدارة واستحقاق على عرش البطولة والشهامة ، فهو من بيت عُرف بالولاء والمحبة ونصرة الدين ، وهو ممن له الخبرة والدراية في التعامل مع الروم ، قد اكتسبها عندما أرسله النبي(صلى الله عليه وآله) ممثلاً له في الحبشة وقائداً للمهاجرين آنذاك ، فقد مارس دوراً مهما آنذاك في استقرار مُلك مَلك الحبشة في صراعه مع الروم.

سبب الغزوة :

في جمادي الأولى سنة ٨ هـ بعد خيبر بشهرين (وحقها أن تسمى سرية كما في طبقات ابن سعد لأن الغزوة عندهم ما غزاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه والسرية بخلافها) ، ومؤتة موضع معروف عند الكرك بأدنى البلقاء (جنوب عَمان عاصمة الأردن حالياً) وكان سببها ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى هرقل ملك الروم بالشام فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني من امراء قيصر على الشام فقال أين تريد لعلك من رسل محمد ؟ قال نعم ، فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول غيره فلما بلغه ذلك اشتد الأمر عليه فجهز ثلاثة آلاف من أصحابه وبعثهم إلى بلاد الروم وأمر عليهم جعفر بن أبي طالب فان أصيب فزيد بن حارثة فإن أصيب فعبد الله بن رواحة ، وأمرهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدعوهم إلى الاسلام فان أجابوا وإلا استعانوا الله عليهم وودعهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوصاهم بتقوى الله وقال : " اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً فانياً ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناءً " ، فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه فساروا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب المتنصرة من بكر ولخم وجذام وغيرهم فاقاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم هل يبعثون لرسول الله (ص) ويخبرونه بعدد عدوهم ، فاما أن يمدهم أو يأمرهم بأمر فيمضوا له فشجعهم عبد الله بن رواحة فقال : " يا قوم والله أن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين

الذي أكرمنا الله تعالى به فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس صدق والله ابن رواحة فمضوا للقتال ، فلما كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة وعبأوا جيشهم ميمنة وميسرة والتقى الناس فاقتتلوا فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم قاتل جعفر بن ابي طالب براية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، وكان أول من عقر فرسه في الاسلام ، ثم قاتل فقُطعت يمينه فاخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قُتل ، وقال رسول الله (ص) إن الله أبدله بهما جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة فروي انه وجد ما بين صدره ومنكبيه تسعون جراحة ما بين ضربة وطعنة وقيل وجد في بدنه اثنتان وسبعون ضربة وطعنة ، وقيل ضربه رومي فقطعه بنصفين ، ثم أخذ الراية زيد بن حارثة حتى شاط في رماح القوم أي قُتل طعناً بالرماح ، فاخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها فقاتل حتى قُتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد فانحاز بالناس ورجع فلقيهم المسلمون يحثون في وجوههم التراب ويقولون : " يا فرارون فررتم في سبيل الله ، وكان الرجل يجئ إلى أهل بيته يدق عليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له حتى أن نفراً منهم جلسوا في بيوتهم استحياءً كلما خرج واحد منهم صاحوا به ، وهنا تدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من اجل رفع معنويات المنهزمين ، فكان يُعلق على كلام الناس قائلاً : " بل هم الكرارون " ، وشجعهم على الخروج من منازلهم .

وعن كتاب المحاسن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس زوجة جعفر فقال لها : " أين بني فدعت بهم وهم ثلاثة عبد الله وعون ومحمد فمسح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رؤوسهم فقالت انك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام فعجب من عقلها فقال يا أسماء أ لم تعلمي أن جعفراً استشهد فبكت فقال لها لا تبكي فان الله اخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر ، فقالت يا رسول الله لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا ينسى فضله ، فعُجب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عقلها ثم قال : " ابعثوا إلى أهل جعفر طعاماً فجرت به السُنة ، ودخلت فاطمة الزهراء (عليه السلام) وهي تبكي وتقول : وا عماه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "على مثل جعفر فلتبك البواكي " .

وعلى الرغم من هزيمة جيش المسلمين في هذه المعركة الا انها مكنتهم من الوصول الى عُقر الدولة البيزنطية ، وقد ازداد إقبال الناس على الدين الإسلامي بعد ذلك .

****

فتح مكة :

من الحوادث المهمة في تاريخ الإسلام ، التي حدثت في ٨ رمضان ، من العام الثامن للهجرة ، بعد ما انتهكت قريش الهدنة التي كانت بينها وبين المسلمين في صلح الحديبية .

وبعد أن أنهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل التحضيرات لفتح مكة ، كان لا بد من وضع خطة محكمة ومتكاملة ، تحتوي على جميع عناصر النجاح والتوفيق ؛ لأن فتح مكة يعتبر آخر ما يمكن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم به في وجه قريش ، وأن تلك فرصة لا يمكن تعويضها ، فإن كل الأسباب صارت مؤاتية لإنهاء وجود الشرك والوثنية في مكة المكرمة ، وبلاد الحجاز .

وكان المَعلم الأساس في خطة عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفتتح مكة بسرعة وبأقل ما يمكن من إراقة الدماء ، خصوصاً أن مكة محرمة على القتل والقتال وسفك الدماء .

كانت سياسة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كثير من حروبه مع أعداء الدين هي اعتماد عنصر المباغتة ، وقد توفر هذا العنصر في فتح مكة أيضاً في اختيار شهر رمضان المبارك ؛ لأن شهر رمضان لا تقع فيه أعمال عسكرية في العادة بسبب إخلاد الناس للراحة في هذا الشهر، وعكوفهم على العبادة ، وعزوفهم عن الأسفار .

وكما أسلفنا فبعد مرور حوالي السنتين على صلح الحديبية أقدمت قريش على نقضه وذلك عندما انضمت إلى حلفائها من قبيلة كنانة التي أقدمت على مهاجمة خزاعة حليفة المسلمين مخالفةً بذلك الهدنة القائمة بين الطرفين بموجب الصلح ، فاستنصرت خزاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشعرت قريش بخطورة المجازفة التي أقدمت عليها فأوفدت أبا سفيان إلى المدينة ، ليؤكد العهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليتفادى نتائج الأحداث ، إلاَّ أن محاولاته في المدينة لم تجدِ نفعاً بعدما رفض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مقابلته لنقضه العهد .

قرر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التوجه إلى مكة لمواجهة قريش ، فاستنفر أصحابه وجهز جيشاً من عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وغيرهم من القبائل .

وقرر أن يتحرك سراً ليباغت قريشاً ، وليصادر إمكانية الدفاع من يدها، ولئلا يقع قتال في مكة، فدعا ربه قائلاً (صلى الله عليه وآله وسلم) : " اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلاده ".

اكتشف حاطب بن بلتعة ، وكان من المسلمين ، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد مكة ،

فكتب إلى قريش بذلك وأعطى الكتاب إلى امرأة ، فوضعته في شعرها وتوجهت إلى مكة ، فعرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا العمل الجاسوسي الخطير، وبعث علياً (عليه السلام) والزبير بن العوام ليقبضا عليها، فأدركاها في منطقة ذي الحليفة ، وانتزع منها علي (عليه السلام) الكتاب بالتهديد والقوة وأرجعاها إلى المدينة .

ويقول المؤرخون : إن الله أنزل بهذه المناسبة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ...﴾

تحرّك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ثمان للهجرة سراً، حتى وصل إلى مشارف مكة وطوّقها .

استخدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحرب النفسية في هذه الغزوة ، فأشعل النيران على الجبال على مقربة من مكة ، ليشعر قريشاً بقوة وكثرة الجيش ويثير الرعب في قلوب الطغاة ، ويحملهم على الاستسلام والخضوع من غير قتال .

خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ليتجسسوا الأخبار ففوجئوا بالنيران تطوق مكة ، وفي هذه الأثناء التقى العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان في الطريق خارج مكة فأشار عليه أن يذهب به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبعد أن أخذ له الأمان رتَّب له لقاءً مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحصل اللقاء صبيحة اليوم التالي، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً .

تدخل العباس لإنقاذ أبي سفيان فخاطبه قائلاً له : ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، فشهد بذلك ، وفي نفسه من نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أشياء وأشياء وظلت تلك الأشياء إلى أن مات .

وقد حاول العباس أن يتعامل مع التركيب النفسي لشخصية أبي سفيان ويوجه موقعه الاجتماعي لصالح الفتح المبين فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " يا رسول الله إنه يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه ".

فأمر (صلى الله عليه وآله وسلم) من ينادي في الناس: " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق عليه بابه فهو آمن " .

بعد أن أعطاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الميزة إرضاءً لخصلة الفخر في نفسه ، أخذه العباس إلى المكان الذي عيَّنه له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليرى جنود الله وهي تمرّ أمامه في استعراض عسكري لإظهار القوة لم تعهد له مكة نظيراً من قبل .

ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة بتلك الحشود التي تنساب خلفه فاتحاً من غير قتال ، فلما انتهى إلى الكعبة تقدم على راحلته فاستلم الركن وكبَّر، فكبَّر المسلمون لتكبيره، ثم طاف بالبيت، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً وكان هبل أعظمها، فقال لأمير المؤمنين (عليه السلام) : " يا علي اصعد على منكبي أعطني واهدم الصنم " ، ففعل ذلك ، وفي رواية أنُ قال : " يا علي كفّاً من الحصى ، فقبض له أمير المؤمنين (عليه السلام) كفّاً فناوله ، فرماها به وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ ، فما بقي منها صنم إلا خرَّ لوجهه ، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد فطرحت وكسُرت ، ثم أمر أن تفتح الكعبة ففتحت له ودخلها فصلى فيها وأزال كل ما كان فيها من تماثيل وصور ثم أشرف من بابها على الناس وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : " الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إنّ كل مأثرة أو دمٍ أو رباً في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين ، إلاَّ سدانة الكعبة وسقاية الحج" ، ثم توجه إلى المكيين وسألهم: ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا : خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :" إني أقول لكم ما قال أخي يوسف لأخوته، لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء ".

وبذلك ضرب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للأجيال في كل عصر وزمان مثلاً في الرحمة والعفو والترفع عن الحقد والانتقام .

****

معركة حُنين :

وقعت هذه الغزوة بعد فتح مكّة مباشرة وذلك في السنة الثامنة للهجرة في منطقة حُنين، بين جيش المسلمين بقيادة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة وبين المشركين من قبيلتي هوازِن وثقيف من جهة أخرى الساكنين في منطقة الطائف ، حيث مالت كفّة الحرب في بدايتها لصالح المشركين بسبب الخطة التي اعتمدها المشركون وحضور المسلمين الجدد في المعركة ، والتي كادت أن تعصف بجيش المسلمين وتنتهي بمقتل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلا أنّ المسلمين أعادوا تنظيم

صفوفهم ورجعوا مرّة أخرى إلى المعركة بقوّة ليكون النصر حليفاً لهم في نهاية المطاف مستولين على كثير من الغنائم والأسرى .

سبب الغزوة :

بعد فتح مكة واستسلام معظم أهلها ، أو إسلام القبائل المحيطة بمكة فضلاً عن قبائل قريش ومشايخها، إلاّ (هوازن) و(ثقيف) فإنّهم عتوا عن أمر رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وفكّروا في اجتياح المسلمين والإغارة عليهم ، فاجتمعوا وجمعوا الجموع والسلاح وقالوا : إنّ محمداً قاتله قوم لم يحسنوا القتال ولم يكن لهم علم بالحرب فغلب عليهم ، ونحن أُولوا بصيرة في الحرب وتجربة في القتال ، فسوف نغلبه ، ثم عزموا على قصده قبل أن يقصدهم، وقالوا : قبل أنّ يظهر ذلك منه سيروا إليه ، وفي رواية أخرى : كانت ثقيف وهوازن قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بخروج رسول الله من المدينة ، وهم يظنون أنّه إنمّا يريدهم حيث خرج من المدينة ، فلمّا أتاهم أنّه قد نزل مكّة ، أقبلت هوازن عامدين إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقبلت معهم ثقيف ، وقد اختاروا قائداً لهم يدعى مالك بن عوف النصري الذي عُرف بالفروسية والشجاعة ، حتى نزلوا حُنيناً ، فكان من تدبير هذا القائد أن اقترح على جيشه أن يجعلوا النساء والأطفال والأموال وراء ظهورهم وعندما سألوه عن علة ذلك الآراء قال :" أردت من جعل كل رجل أهله وماله وولده ونساءه خلفه حتى يقاتل عنهم " ، وقد خالف شيخ مُجرب حنَّكته الحروب منهم يدعى "دريد بن الصمة" هذه الخطة عندما سمع رغاء البعير، وخوار البقر، وبكاء الصغير، وجادل فيها مالكاً ، واعتبرها خطة فاشلة من الناحية العسكرية وقال للناس: " يا قوم إن هذا فاضحُكُم في عورتكم ، وممكِّن منكم عدوّكم ، وهل يردُ المنهزم شيء " ، ولكن مالكاً لم يعر كلام هذا الشيخ ونصيحته اهتماماً وقال : – وهو يتهمه بالجهل بفنون القتال الحديثة – :" إنك قد كبرت، وكبر علمك، وحدث بعدك من هو أبصرُ بالحرب منك " .

ولقد أثبت المستقبلُ صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنَّك ، فإن إشراك النساء والأطفال والأنعام في الحرب ، وإخراجهم إلى ساحة القتال أحدث لمقاتلي ثقيف وهوازن مشاكل كثيرة ، فيما بعد فقبل المشتركون في تلك العملية بأمر قائدهم هذا بالإجماع، وجعلوا أموالهم وأهليهم خلفهم .

ثم إنَ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) لما سمع بتحركات هاتين القبيلتين بعث "عبد اللّه بن حدرد الأسلمي"، وأمره أن يدخل في هوازن وثقيف فيقيم فيهم حتى يعرف بنواياهم وخططهم ، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق الرجل إليهم ثم عاد إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بأَخبارهم .

وكان "مالك بن عوف" قائد هوازن وثقيف قد بعث بدوره ثلاثة جواسيس ليتجسسوا له على المسلمين ، ويأتوه بأخبارهم ، فعادوا بأجمعهم فزعين ممّا شاهدوه من قوة المسلمين وكثرتهم .

فقرر قائدُ العدوّ أن يجبُر ضعف جنوده وقلتهم باستخدام الخدع العسكرية، والتوسل بأسلوب المباغتة

ليفرق – بهجوم مفاجئ – صفوف المسلمين، ويهدم نظامهم وانسجامهم، ويصيبهم بالهرج والمرج ،

والفوضى والحيرة ليختلّ باختلال الجيش أمر القيادة ، فلا تتمكن من ضبط الأمور ، وتحقيق انتصار على المسلمين .

ولتحقيق هذا الهدف هبط "مالك بن عوف" بجيشه في واد ينحدر إلى منطقة "حنين"، وأمر بأن يختفي الجنود والمقاتلون خلف الصخور والأحجار، وفي شغاف الجبال ، وكل ما ارتفع من ذلك الوادي ونشز، حتى إذا انحدر جنود في هذا الوادي في غفلة من هذا التدبير، خرج رجالُ هوازن وثقيف من مكامنهم ، وكمائنهم ، ورموا المسلمين الغافلين عن خطة العدو ، بالحجارة والنبل ، ثم يخرج إليهم فريق في أسفل الوادي ويضربونهم بالسيوف .

وقد خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى حنين يوم السبت ، في الثالث من شوال ، سنة ثمان من الهجرة ، ووصل إليها مساء ليلة الثلاثاء ، في العاشر من شوال .

كان الجيش الذي سار به رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) إلى هوازن يبلغ ١٢ ألفاً من الجنود المسلحين : عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة ، وشاركوا في فتح مكة ، وألفان من رجال وشباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح ، وقد أوكل النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قيادتهم إلى أبي سفيان .

ولقد كان مثل هذا الجيش العظيم والجمع الكبير قليل النظير، ونادر المثيل في تلك العصور ، وقد صارت هذه الكثرة ذاتها سبباً في هزيمته في مبدأ الأمر ، فقد أُعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم على خلاف ما مضى فتجاهلوا التكتيكات النظامية الدقيقة ، وغفلوا عن خطط العدو ونواياهُ فكان ذلك داعياً إلى هزيمتهم !! ، فقد قال أبو بكر لما رأى كثرة المسلمين : لو لَقينا بني شيبان ما بالينا ، لن نُغلَبَ اليومَ من قِلة ، ولكنه لم يكن يعرف أن الانتصار ليس هو بكثرة الأفراد وضخامة الجيش، بل إن هذا العامل غير مهمّ بالقياس إلى بقية العوامل .

ولقد أشار القرآن الكريمُ إلى هذه الحقيقة إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ .

تجهيزات المسلمين :

كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) عارفاً بقوة العدوّ وعناده فدعا " صفوان بن أمية " قبل مغادرة

مكة ، واستعار منه مئة درع بأداتها كاملة ، وسار خلف جيشه وسار حتى دَنوا جميعاً من الوادي فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادي ، ومع غلس الصبح انحدرت كتيبة "بني سليم" بقيادة "خالد بن الوليد" في وادي "حنين"، وبينما دخل أكثر الجنود ذلك الوادي حمل عليهم رجالُ هوازن من كمائنهم في مضيق الوادي وشعابه حملة رجل واحد، وأخذوا يرشقونهم بالحجارة والنبال، فألقت أصواتُ الحجارة والنبال فزعاً شديداً في قلوب المسلمين الذين مُطروا بالسهام والنبال والحجارة من جانب ، بينما احتوشهم فريق آخر من هوازن بسيوفهم ووقعوا فيهم ضرباً وقتلاً .

أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها في قلوب المسلمين ، فقد أوحشتها ، وأصابت المسلمين بالفوضى، وخلخلت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار، وقد أخلّوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدوُّ بهم.

ففرح المنافقون في جيش رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) لهذا الحادث ، وسروا به سروراً عظيماً حتى قال أبو سفيان شامتاً :" لا ينتهي هزيمتُهم دون البحر " ، وقال كلدة بن حنبل :" ألا بطَلَ السحرُ اليوم "، وقال آخر :" لا يجتبرها محمَّد وأصحابه " ، وعزم شيبة بن عثمان على اغتيال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في ذلك الوضع المضطرب وإطفاء شعلة رسالته المقدسة .

استقامة النبي (صلّى اللّه عليه وآله) ومن ثبتَ من أصحابه :

لقد أزعج فرارُ المسلمين الذي كان نابعاً في الدرجة الأولى من الفزع والفوضى التي أصابتهم– رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ، وأدرك بأنه لو تأخّر لحظة واحدة عن فعل ما يجب أن يفعله لتغيَّر وجهُ التاريخ ولتبدّل مسار البشرية، ولحطّم جيش الشرك جيش التوحيد .

من هنا صاح بأعلى صوته وهو على بغلته :" يا أنصار اللّه وأنصار رسوله أنا عبدُ اللّه ورسولُه ".

قال هذا واندفع ببغلته إلى ساحة القتال في المكان الذي جعله "مالك" وجنودُه مسرحاً لمهاجمة المسلمين ومباغتتهم وقتالهم، ومشى معه من لازمه في تلك اللحظات وثبتوا معه كعلي بن أبي طالب (عليه السَّلام) والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، الذين لم يغفلوا عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) منذ بدء القتال لحظة واحدة ، وأمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) عمَّه العباس الذي كان صاحب صوت عظيم أن ينادي في المسلمين الذين كانوا يواصلون فرارهم، ولا يلوون على شيء : "يا معشَر

الأنصار، يا معشر السَمُرة " ، ويقصد من السمرة الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان (٦ هـ) ، فكان هذا النداء تذكيراً بتلك البيعة التي تعهدوا فيها لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) بأن ينصروه حتى الموت .

فبلغت صرخاتُ العباس مسامع المسلمين فثارت حميتُهم ، وأخذوا يثوبون إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وهم يقولون :" لبيك لبيك ".

لقد أوجبت نداءاتُ العباس المتلاحقة التي كانت تُخبر وتنبئ في الحقيقة عن سلامة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أن تعود الجماعات الهاربة من ساحة القتال إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وهي نادمة على فرارها ندماً شديداً ، ونظّموا صفوفهم أمام العدو من جديد أفضل ممّا مضى ، ثم حملوا حملة رجل واحد على العدوّ الغادر بأمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) لغسل ما لحق بهم من عار الفرار ، واستطاعوا في أقصر مدة من الوقت ان يجبروا العدوّ على الانسحاب والفرار والرسول القائد (صلّى اللّه عليه وآله) يقول تشجيعاً لهم ، وتقوية لمعنوياتهم : "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب".

وقد تسبَّب استخدام هذا التدبير العسكري الحكيم في إرعاب رجال هوازن ومن ساعدهم من ثقيف المقاتلين ، بشدة بحيث انهزموا أمام هجوم المسلمين هذا هزيمة قبيحة ومنكرة ، تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين أتوا بهم إلى ساحة المعركة ، وجعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك كما أسلفنا ، وفروا بعد أن قُتِلَ منهم جماعة إلى منطقة أوطاس ونخلة ، وقلاع الطائف .

لقد بلغت خسائرُ المسلمين من الأرواح في هذه المعركة ثمانية أشخاص في مقابل أسر ستة آلاف نفر من العدو .

كما وأن المسلمين غنموا في هذه الواقعة أربعة وعشرين ألف بعير، وأربعين ألف رأس غنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة.

ثم إن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أمر بأن يؤخذ الأسرى والغنائم إلى منطقة تدعى الجعرانة– وهي ماء بين الطائف ومكة– وكلّف أشخاصاً معيّنين بحراستها وحفظها وجعل الأسرى في بيوت خاصة، كما أمر بأن تُحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحد في ذلك المكان ، ريثما يرى فيها رأيه ، بعد ان يلاحق فلول العدو الذي فرّ إلى أوطاس ونخلة والطائف .

وخرج النبي (صلى الله عليه وآله) بمن معه من الجعرانة متّجهاً إلى مكة في شهر ذي القعدة فأتمّ

عمرته وحلّ من إحرامه واستخلف على مكة عتّاب بن أسيد ومعه معاذ بن جبل وخرج متّجهاً إلى المدينة بمن معه من المهاجرين والأنصار .

****

عام الوفود :

يُطلق على العام التاسع للهجرة (بعام الوفود) ؛ وذلك لكثرة الوفود التي جاءت من أنحاء الجزيرة العربية إلى المدينة ، لتعلن إسلامها أمام الرسول (صلى الله عليه وآله) ، والتي يزيد عددها على سبعين وفداً ، وكان ذلك بعد غزوة تبوك .

بعد فتح مكة بدأت القبائل العربية تتوافد على المدينة المنورة، لتعلن إسلامها أمام الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فإستقبلهم بكل لطف ورحمة وقَبل إسلامهم ؛ لذلك تبدلت الحروب والصراعات بين قبائل الجزيرة العربية إلى أمن وأمان ، يقول الشيخ الطبرسي في كتابه إعلام الورى بأعلام الهدى : «فلمّا أسلمت ثقيف أقبلت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفود العرب فدخلوا في دين الله أفواجاً» ، ونزل قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

ومن أبرز الوفود وفد أسد ووفد كنانة ووفد هلال بن عامر .

****

غزوة تبوك :

كانت آخر مغازي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهي المعروفة بغزوة العسرة ، وتعرف أيضاً بالفاضحة الافتضاح المنافقين ، وكانت في رجب سنة ٩ هـ قبل حجة الوداع ، فقد جهّز (صلى الله عليه وآله وسلم) جيش المسلمين في عام العسرة وخرج بهم إلى ملاقاة الروم الذين تجهزوا للهجوم على المدينة المنورة ، كان عدد جيش المسلمين ثلاثين ألفاً ، وتبوك : موضع بين وادي القرى والشام .

١. أهداف غزوة تبوك :

أ . تثبيت إمامة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) :

عمل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على بناء العوامل التي يحفظ بها الإسلام ويحصنه من الداخل

والخارج ، وخصوصاً من الداخل ، فإن المعركة القادمة سوف تكون مع المنافقين ، فكان لا بُد من مجموعة إجراءات تفضح نواياهم ، وتكشف حقيقتهم ، وكان من هذه الإجراءات ممارسة إظهار شخص الإمام الجديد علي (عليه السلام) .

ب . نشر الإسلام في شمالي الجزيرة العربية :

بعد الانتهاء من نشر الإسلام في وسط الجزيرة وجنوبها ، كان على الدولة الإسلامية ، لتثبيت نفوذها خارج تخوم الجزيرة العربية ، أن تبذل جهوداً لإخضاع هذه القبائل التي ظلت مستقلة عن الدولة في صحراء بلاد الشام والجزيرة .

ج . القيام بحملة وقائية في مواجهة احتمالات الحرب من الشمال : كان البيزنطيون يحاولون إعادة بناء تحالفاتهم مع القبائل العربية في الشمال ، وكان الهدف هو حماية بلاد الشام من إغارة القبائل العربية من جهة ، ومن جهة اخرى حمايتها من الدولة الاسلامية ، فإن معركة مؤتة وذات السلاسل اثبتت للبيزنطيين ان تلك الدولة الاسلامية باتت تشكل تهديداً واضحاً لها من تخوم دولتها ، فلا بد من التحالف الدفاعي لحراسة بلاد الشام .

إضافةً إلى ذلك ، إن الموضوع التجاري والاقتصادي كان حاضراً في الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية ، فلا بد من تأمين علاقة مع تلك القبائل لحفظ الخط التجاري بين بلاد الحجاز وبلاد الشام ، فكان لا بد من حملة عسكرية ، وإن لم تؤد إلى الاقتتال والاشتباك – تظهر فيها الدولة الإسلامية حضورها وقوتها ، وأن تعقد اتفاقيات مع تلك القبائل العربية المنتشرة شمالًا .

وذكر اليعقوبي أن سبب خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تبوك من أرض الشام أنه خرج للطلب بدم جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) الذي استشهد في معركة مؤتة .

عمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على تجهيز الجيش وحض اهل الغنى على النفقة في سبيل الله ورغبهم في ذلك ، فحمل من أهل الغنى ما يقدرون عليه ، واشتركت نساء المسلمين في الإنفاق على غزوة تبوك بما لديهن من معاضد ، وخلاخل ، وأقرطة وخواتيم .

لقد عَمِدَ المنافقون إلى إثارة المشاكل بين المسلمين في غزوة تبوك ، فحينما طلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجد بن قيس وهو من أحد بني سلمة أن يخرج مع المسلمين لحرب الروم فأجاب بقوله : يا رسول اللَّه، أو تأذن لي ولا تفتني ؟ فو الله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجبا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر (أي الروم) أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول اللَّه (صلى

الله عليه وآله وسلم) ، وقال : قد أذنتُ لك ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لقد كان خائفاً من فتنة النساء فسقط في فتنة أكبر منها وهي فتنة تخلفه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تخلّف عنه عبد الله بن أُبي فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الريب .

لما خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تبوك خلّف الإمام علي (عليه السلام) على أهله في المدينة وأمره بالإقامة فيهم ، لأن حركة المنافقين اخذت تزداد في المدينة بعد لافتح مكة ، وهذا يُشكل خطراً كبيراً على الإسلام ، ويتطلب ان يبقى في المدينة شخص قادر على مواجهة هذا الخطر كالإمام علي (عليه السلام) ، لذا أرجف المنافقون ، وقالوا : ما خلّفه إلا استثقالاً وتخففاً منه ، فأخذ علي (عليه السلام) سلاحه ولحق بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبره بما قالوا ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : كذبوا ولكني خلّفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه ليس نبيٌّ بعدي " .

وبعد أن وصل (صلى الله عليه وآله وسلم) الى تبوك أقام فيها عشرين ليلة ، وقام بعدة اعمال من بينها بناء مسجد تبوك ، وعقد مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات مع القبائل الكبرى المستوطنة جنوبي بادية الشام ، وأسلم كثيرٌ منهم ، كما أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يُحنة بن رُؤبة صاحب أيلة ، فصالح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية، وكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم كتاباً .

أما موقف هرقل ملك الروم ، فقد بعث رجلاً من غسان يستخبر حال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وينظر إلى علامات موجود فيه ، وهي: خاتم النبوة بين كتفيه ، وأنه لا يقبل الصدقة ، ووجود حمرة في عينيه ، فلما أخبره الرجل بهذه العلامات فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا هرقل قومه إلى التصديق بنبوة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فأبوا حتى خاف على ملكه ، وبقي هرقل في موضعه لم يتحرك ولم يزحف ، فرجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة قافلاً .

النتائج العامة لغزوة تبوك :

١. شكلت معركة تبوك نصراً حاسما للمسلمين على الإمبراطورية الرومانية .

٢ . استطاع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحكمته في العمل السياسي أن يجعل القبائل العربية

المناهضة للإسلام ، تعلن إسلامها ، أو تعقد معاهدات واتفاقيات مع المسلمين .

٣. برز المسلمون في هذه الغزوة كقوة منظمة تملك العقيدة القوية والعتاد القوي فكان هذا إنذاراً حقيقياً لكل القوى خارج دار الإسلام ، وتحذيراً لها من التعرض للمسلمين .

****

المباهلة :

المباهلة : إشارة إلى ما وقع بين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصارى نجران إثر محاورة دارت بينهما ، فبعد أن أصرّوا على عنادهم دعاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المباهلة (الملاعنة) والدعاء بإنزال لعنة الله على الكاذب من الطرفَين المتلاعنين ، حيث اصطحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معه في يوم المباهلة أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) والحسنين (عليهما السلام) وكانت هذه الواقعة في يوم ٢٤ ذي الحجة سنة ٩ هـ .

وكما يرويها لنا الشيخ المفيد بقوله : " لما انتشر الإسلام بعد الفتح وقوي سلطانه ، وفد إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفود ، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه.. وكان فيمن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى ، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح ، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب ، فصار إليهم اليهود وتساءلوا بينهم فقالت النصارى لهم : « لستم على شيء» وقالت لهم اليهود: « لستم على شيء» وفي ذلك أنزل الله سبحانه :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ، فلما صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف ، فقال له : " يا محمد، ما تقول في السيد المسيح ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : " عبد الله اصطفاه وانتجبه ، فقال الأسقف : " أتعرف له يا محمد أباً ولده " ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : " لم يكن عن نكاح فيكون له والد " ، قال : " فكيف قلت إنه عبد مخلوق ، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد " ؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

وفي يوم المباهلة المُتفق عليه ، رأى نصارى نجران ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخرج

معه للمباهلة أهل الكبر والشدة من أتباعه ، ولا أهل الغنى والمال والثروة من أصحابه ، ولا أهل الجاه الدنيوي من أتباعه ، وإنما جاء بالأعزة من أهل التخشع وبقية الأنبياء وصفوة الصفوة المختارة ، رجع بعضهم إلى البعض الآخر متسائلاً والخوف من هذه الشموس تملأ القلوب، وجعلوا يلتمسون المخرج من ورطتهم هذه التي ستجلب عليهم الندامة والهلاك ، وهم الذين ما زال كلام صاحبهم يدوي في أذانهم، وذلك لأن واحداً من ذلك الوفد قال لهم يا قوم : " إن باهلنا ـ محمد ـ بقومه باهلناه ، فانه ليس بنبي، وان باهلنا بأهل بيته خاصةً فلا نباهله فانه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق " ، فما أن رأى القوم أهل بيت النبي بين يديه حتى فزعوا وجبنت قلوبهم ، وقال الأسقف : " أرى وجوها لو سأل الله بها أحداً أن يزيل أحداً من مكانه لا زاله ، أفلا تنظرون محمداً رافعاً يديه ينظر ما تجيبون به وحق المسيح إذا نطق بكلمة لا نرجع إلى أهل ولا إلى مال ، وجعل يصيح بهم : " ألا تنظرون إلى الشمس قد تغير لونها ، والأفق تنجع فيه السحب الداكنة ، والريح تهب سوداء وحمراء ، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان، لقد أطل علينا العذاب.. فقالوا للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعطيك الرضا فأعفنا عن المباهلة ، فصالحهم على الجزية وانصرفوا خائبين خاسرين وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : " والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولأضطرم عليهم الوادي ناراً ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا " .

****

حجة الوداع وبيعة الغدير :

حدثت في السنة العاشرة للهجرة ، وهي الحجّة الوحيدة الّتي حجّها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الهجرة ، وقد ذهب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة ثلاث مرّات معتمراً ، ويرى المؤرخون أنّه لم يحجّ إلا مرّة واحدة ، وهي الّتي سبقت وفاته بعدّة شهور ، وقد سُمّي حجّه هذا بحجّة الوداع ؛ لأنّه كان آخر حجّ في حياته ، وقد ودّع المسلمين فيه ، وتسمّى أيضاً هذه بحجّة البلاغ لمناسبة نزول آية التبليغ فيها ، وتسمّى أيضاً بحجّة الإسلام ، باعتبارها الحجّة الوحيدة التي أدّى فيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الحج إبّان بعثته طبقاً للشريعة المحمدية الشريفة ، وأنّ جبرئيل نزل أثناء عودة وفود الحجيج على النّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في منطقة غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة يخبره بالأمر الإلهيّ (آية التبليغ) بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ القاضي بتنصيب الامام علي (عليه السلام) إماماً للمسلمين ووصيّاً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاستجاب

للأمر الإلهيّ، وأعلمَ الجميع بما نزل به جبرئيل مع أخذ البيعة لعلي (عليه السلام) ، فخطب بالناس إلى أن قال : " فأعلموا معاشر الناس ، فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً ، وفرض طاعته على كل أحد ، ماض حكمه ، جائز قوله ، ملعون من خالفه ، مرحوم من صدقه ، اسمعوا وأطيعوا ، فإن الله مولاكم ، وعلي إمامكم .

ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة ، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله وهم ، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم ، فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيَّ ، ونقلته إليه ؛ فلا تضلوا عنه ، ولا تستنكفوا منه ، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ، لن يتوب الله على أحد أنكره ، ولن يغفر له ، حتماً على الله أن يفعل ذلك ، أن يعذبه عذاباً نكراً أبد الآبدين ، فهو أفضل الناس بعدي ، ما نزل الرزق ، وبقي الخلق ، ملعون من خالفه ، قولي عن جبرئيل عن الله ، فلتنظر نفس ما قدمت لغد ، ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبي « صلى الله عليه وآله » وقال : معاشر الناس ! هذا أخي ، ووصيي ، وواعي علمي ، وخليفتي على من آمن بي ، وعلى تفسير كتاب ربي " .

وفي رواية أنهُ قال : " اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، والعن من أنكره ، وأغضب على من جحد حقه .

فعند ذلك بادر الناس بقولهم : " نعم ، سمعنا وأطعنا لما أمرنا الله ورسوله ، بقلوبنا ، وأنفسنا ، وألسنتنا ، وجميع جوارحنا " ، وبايع الناس الإمام علي (عليه السلام) بحضور النبي « صلى الله عليه وآله » ، ثم تفرقت جموع الحجيج من غدير خم نحو بلدانهم كالعراق والشام واليمن ، وتوجه النبي « صلى الله عليه وآله » بأصحابه صوب المدينة .

****

مرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووفاته :

في يوم الخميس الذي سبق وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الله بأربعة أيام ، أراد رسول الله أن يوجه ضربة نحو مطامع قريش ومكائدها السياسية ، وكان أن وقعت الرزية ، وحيل بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب الذي كان يريد أن يضمن فيه حفظ الأمة الإسلامية من الانحراف والضياع من بعده ، وفي ذلك اليوم ، وفي البيت نساء ورجال قد ضرب بينهم حجاب ، وقد اجتمع الصحابة في داره ، ولحق بهم من تخلف عن جيش أسامة الذي كان قد تثاقل ولم ينفذ أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتحرك ، وفي الرجال عمر بن الخطاب ، وكان قد اشتد برسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه ، وأدرك أن المتآمرين قد أحبطوا خطته ، وها هم قد مكثوا في المدينة وحضروا داخل بيته ، فحاول أن يعرقل المؤامرة السياسية التي كان يتوقعها من بعد وفاته ، فقال للحاضرين عنده : « ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده » ، « أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» ، وهنا انتبه عمر بن الخطاب إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يكتب كتاباً ينص فيه على ولاية الامام علي (عليه السلام) ، فحاول تعطيل الحركة النبوية ، فقال : « إن النبي يهجر ، وعندنا كتاب الله » ، فتنازعوا ، واختصموا ، واختلفوا ، أو كثر اللغط ، فقال : « قوموا عني ، دعوني ، ولا ينبغي عند نبي تنازع » .

دخل يوم الاثنين ، وثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فبادرت عائشة وحفصة إلى تعيين أبويهما والظاهر أن عائشة هي التي غلبت فأمرت بلالاً أن يأمر أبا بكر فليصل بالناس ، وكانت صلاة الصبح ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في آخر رمق يتهادى بين علي (عليه السلام) والفضل بن العباس ، واستدركها بخروجه ، حتى قام في المحراب ، وصرف أبا بكر عنه ، وعزله عن نفس تلك الصلاة ، وصلى هو إماماً في الناس .

وفي اليوم نفسه الذي توفي فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو يوم الإثنين ، انتقل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من دار عائشة إلى دار ابنته فاطمة (عليه السلام) ، ثم قال : « ادعوا لي علياً بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، انطلقا بي إلى فاطمة » .

وفي اللحظات الأخيرة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ادعوا لي أخي » ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بعثه في حاجة ، فجاءه علي (عليه السلام) فقال له : « أدن مني » ، فدنا علي (عليه السلام) ، فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلمه حتى بدت عليه علامات الاحتضار ، فأخذ علي (عليه السلام) رأسه ، ووضعه في حجره ، فأغمي عليه .

وكان آخر ما قاله : « الصلاة ، الصلاة ، فأخذ علي (عليه السلام) رأسه ، ووضعه في حجره ، فقبض ملك الموت روح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويد أمير المؤمنين (عليه السلام) تحت حنكه ، وفاضت نفسه بين نحر علي (عليه السلام) وصدره ، وكان ذلك يوم الاثنين من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة .

والحمد لله رب العالمين ...

****

قائمة المصادر والمراجع :

*** القرآن الكريم**

أولاً : المصادر الأولية

* ابن إسحاق : أبو عبد الله محمد القرشي المطلبي (ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م)

١ – سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي) ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف ، (د . م ، د . ت) .

* ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ /٨٤٤ م)

٢ – الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت ، د . ت) .

* الصدوق : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)

٣ – الأمالي ، نشر: مؤسسة البعثة ، ط١ ، (قم ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م) .

* الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ / ١١٣٥ م)

٤– تفسير مجمع البيان ، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

* العلامة الحلي : أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م)

٥ – إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان ، تحقيق : الشيخ فارس حسون ، ط ١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م) .

* الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ / ٩٣٩ م)

٦ – الكافي ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط ٥ ، دار الكتب الإسلامية ، (طهران ، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣ م) .

* المجلسي : محمد باقر (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩م)

٧ – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، (بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

* المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧ م)

٨ – مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ٢ ، دار الهجرة ، (قم ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .

* المفيد : محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م)

٩ – الاختصاص ، تحقيق : علي أكبر الغفاري وآخرون ، ط٢ ، دار المفيد ، (بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

* ابن هشام الحميري : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)

١٠ – السيرة النبوية ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح

وأولاده ، (القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) .

* الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٣ م)

١١ – المغازي ، تحقيق : د. مارسدن جونس/ نشر دانت إسلامي ، (د. ت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

ثانياً: المراجع الثانوية :

* جعفر مرتضى العاملي :

١٢ – الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ط ١ ، مؤسسة دار الحديث ، (قم ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) .

* الطائي : نجاح عطا

١٣– السيرة النبوية ، ط١ ، دار الهدى لإحياء التراث ، (بيروت ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) .

* علي الكوراني : الشيخ

١٤ – جواهر التاريخ (السيرة النبوية) ، ط ١ ، (د . م ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م) .

١٥ – صراع قريش مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ط ١ ، دار الهدى ، (قم ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م) .

*نبيل الحسني :

١٦ – علم السيرة النبوية ، ط١ ، (كربلاء المقدسة ، ١٤١٩ هـ / ٢٠٠٨ م) .

*هاشم معروف الحسني :

١٧ – سيرة المصطفى ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .